الشرك

وفيها خمسة عشر فصلا

الفصل الأول

بدء الصيد !...

عقد المؤتمر الدولى للبوليس اجتماعه السنوى سنة ـ ١٩
فى جنيف وظل ثلاثة أيام منعقداً تدور فيه المناقشات الحادة
حول أمور مختلفة منها ترويج أوراق النقد السويدى المزيفة
ومغازلات سفير البوستة (وقد بذل المؤتمر جهداً كبيرا
لمنع قتله ولكنه قتل بعد ذلك بستة أشهر) وأخيراً عرضت
مسألة سيزار فالنتين على بساط البحث .

وماجاء اسم سيزار إلا عرضاً بمناسبة قضية (جيل)
فقال المسيو ليكونت مدير الأمن العام :

ـ لست أعلم تماما ماهى جريمة الرجل . انه كثير الغنى
جميل الصورة محبوب فى كل الأوساط ولا تدل أية صفة
من هذه على الاجرام

فقال ليرى من بوليس واشنجطن :

ـ من أين يأتى بالمال ؟ لقد عاش فى أمريكا خمس سنوات

لم يفعل فيها شيئا سوى انفاق المال

فقال ليكونت باسماً :

- لا يعتبر هذا الامر فى أمريكا ولا فى فرنسا جريمة

فقال هالت من بوليس لندن (اسكتلنديارد)

- من أغرب أموره ان كل من دخل معه فى معاملة مالية مات موتا فجائياً

فوافق على ذلك ليرى وقال :

- هذا صحيح . ان العناية الالهية ترعى المستر فالنتين . فلقد دخل فى تجارة القمح فى شيكاجو سنة ٤٣ - وهبطت السوق وكان أكبر عامل فى هبوطها مناورات برجس - جون بويد برجس - الذى كان يستطيع أن يقضى على فالنتين قضاء مبرماً . فحدث فى صباح أحد الايام أن وجدت جثة برجس فى قاع بئر المصعد (لفت) الذي فى فندقه إذ سقط من ارتفاع تسعة عشر طابقاً .

فهز ليكونت أكتافه وقال :

- حادث وقع بالمصادفة والاتفاق

فقال هالت : كان فالنتين هذا مرتبطا برابطة الود والصداقة مع أحد مواطنى (انجلترا) وهو صاحب مصرف (بنكير) يدعى جورج جيل - وكان جيل متعوداً تناول

دواء للأعصاب كان يأخذ معه جرعة منه الى المصرف فى زجاجة صغيرة فوجد ذات مساء ميتا فى مكتبه والزجاجة فى يده وكانت عليها بطاقة الدواء ولكنها كانت تحتوى على حامض البروسيك القاتل . ولما فحص المراجعون دفاتره وجدوا أن مائة الف جنيه قد اختفت . وكان حساب فالنتين فى منتهى الضبط والدقة . فدفن جيل فى قبر المنتحرين وأرسل فالنتين (كورونة) أزهارا توضع على قبره

فقال ليكونت وهو يهز أكتافه مرة أخرى :

ـ لست أدافع عن فالنتين ولكن قد يكون ذلك انتحاراً وقد يكون فالنتين بريئا ـ فأين هى الادلة التى تثبت عكس ذلك . لقد قمتم بعمل تحقيق . أليس كذلك

فحنى هالت رأسه علامة على الموافقة فاستأنف ليكونت يقول :

فلم تجدوا شيئا ضد الرجل . اذ كم تظنون ان الرجل من الاشرار فها أنا ذا أضع قوات البوليس التى تأتمر بأمرى تحت تصرفكم حتى تثبتوا ذلك عليه ، وسأراقبه ليلا ونهاراً طيلة إقامته فى فرنسا لانه يقيم فيها ستة أشهر كل سنة ولكنى أعلنكم صراحة أنني أريد دليلا محسوسا على مايوجب الريبة فى أمره

فقال هالت : لقد اختطف زوجة من زوجها

فضحك ليكونت ثم اعتذر قائلا .

- عفواً . فليس هذا الأمر من الجرائم بناء على القانون الفرنسي .

وبعد ذلك اتجه الحديث اتجاها آخر

***

بعد ذلك بعام كان هالت جالساً مقوس الظهر على مكتبه في (سكوتلاند يارد) وقد تقطب جبينه وهو يقرأ تقريراً مكتوبا بالآلة الكاتبة . ثم صرف نصف ساعة في تفكير وأخيراً لمس جرسا فدخل بعض الناس الى مكتبه

فقال الرئيس هالت للذي دخل :

- اسمع ياصديقي . لقد اتيت الى منذ ستة أشهر برواية عن المستر سيزار فالنتين . لا أريد أن تقاطعني . بل انتظر حتى انتهي . اني أميل اليك وأنت تعلم ذلك . وأثق بك والا لما بعثت بك للقيام ببحث قد يلوح عديم الفائدة . وفوق ذلك فاني أعتقد أن روايتك مبنية على أساس وهذا ما كنت أفكر فيه من زمن ولذا قبلتك في خدمة البوليس ودربتك على أعماله

فأحنى الآخر رأسه موافقا . فاستمر الرئيس يقول :

- إن عمل البوليس يستدعي كثير الصبر وطول الأناة فان أنت لم تن وركزت عقلك في العمل وكان لك شيء من حسن الطالع نجحت أما اذا صرفت وقتك في الأحلام والنظريات فانك لا تلبث أن تجد أن الفرصة قد فاتتك فتعض بنان الندم ولات ساعة مندم فالصبر إذن هو كل شيء .

لقد أرسل بر بزأحد رجاله الى المناجم وليس معه إلا قطعة من صورة فوتوغرافية ليس بها سوى العين اليمنى لأحد المجرمين فمضت ثلاث سنوات قبل أن يقبض هذا الرجل على غريمه .

وانتظر ليكونت خمس سنوات قبل أن يقبض على مدام سريلوث . وأنا نفسي حين كنت مبتدئا صرفت ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنى عشر يوما أطارد عصابة كلى ممث حتى قبضت على كلى وأودعته حيث أريد . وربما صرفت مثل هذا الوقت حتى تقبض على سيزار فالنتين

فقال الآخر : متى أبدأ عملي ؟

فأجاب هالت : الآن ويجب ألا يعلم أحد بحركاتك حتى في هذا المكتب وسيرسل اليك مرتبك والنقود اللازمة لنفقاتك ويقيد في دفاترنا انك مرسل الى خدمة خاصة في الخارج

فابتسم الآخر وقال :

ـ هناك شيء من الصعوبة ياجناب الرئيس فان اسمى....

ـ ليس لك اسم فانت من الآن ـ رقم ٦ ـ ولن يوجد شيء يدل على شخصيتك . وسأصدر أمرى باتباع وتنفيذ جميع الاقتراحات والرغبات التى تبديها فى رسائلك . والآن يمكنك أن تذهب وتقبض على سيزار فالنتين فقد يكون هذا الرجل من أشد بنى الانسان خطراً وأثما ولكن قد تكون الروايات التى تصل إلى البوليس محض أكاذيب ومن هناك نشأت دقة موقفك فى مطاردتك لهذا الرجل ولا يستطيع البوليس أن يضع رجلا فى السجن لأنه ينفق عن سعة أو لأنه هرب مع زوجة أحد الناس . وهذا كل مانعرفه عنه . وعليك أن تكون حريصاً حصيفاً بعيد النظر فان للرجل نظاما كاملا للجاسوسية فلقد وجدنا أنه قد وضع أحد جواسيسه فى هذا المكتب وهذا الأمر قد نبهنا الى صدق الاشاعات المتواترة عنه فان الانسان لاينفق الالوف ليضع جاسوساً فى دائرة البوليس بغير أن يكون هناك أمر يخشاه

نخى رقم ٦ رأسه مرة أخرى

ـ والآن فهاهو ذا العالم أمامك يا صديقى وتنتظرك مكافأة عظيمة اذا نجحت . وعليك بايجاد أعوانه ولك الحق فى دخول أى سجن شئت فقد ينفعك ذلك

فقال رقم ٦ : ان العمل عظيم ولكنه العمل الوحيد الذى أرغب فيه .

فقال هالت : نعم أعرف ذلك . وسنقوم بالعمل منفرداً ولكنك قد تجد عدداً غير قليل من الناس يتبرع بمساعدتك . فهناك الرجال والنساء الذين قضى عليهم وآباء البنات وأزواج الزوجات اللائى ذهب بهن الى الهاوية . سيكون جميع هؤلاء لك نعم الحلفاء . والآن فلنذهب . لقد دربتك أحسن تدريب فى مقدورى ولكن قد تجد أن الشىء الوحيد الذى أنت فى حاجة اليه · مازال ينقصك .

ثم وقف ومد يده لرقم ٦ الذى تألم من شدة قبضته ثم قال ضاحكا :

ـ وداعا يارقم ٦ وأرجو أن يلازمك حسن الطالع ولا تنس انني لن أعرفك إذا لقيتك فى الشارع فأنت غريب عنى الى أن تظهر شاهداً فى محكمة أولد بيلى وتقدم شهادة تذهب بالمستر فالنتين من مسرح هذا العالم الى الأبد

فخرج رقم ٦ وانحنى للرجل المقيم على باب الغرفة فى تحية ثم اختفى عن الانظار لبضع سنوات . وقد كتب هالت بخط يده فى دفاتر دائرة البوليس :

ـ مكلف بخدمة خاصة ويجب ألا يشار اليه فى تقارير

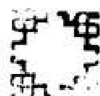
البوليس بتاتا .

وبعد سنة دعا هالت إلى مكتبه ستيل رئيس مفتشى الدائرة وأخبره عن طرف مما دار بينه وبين رقم ٦ فى ذلك الحديث ثم قال :

- لم تصل الى أخبار من رقم ٦ منذ ستة أشهر فاذهب الى باريس وراقب سيزار فالنتين

فقال ستيل : أرجو أن تخبرني عن رقم ٦ ان كان رجلا أم امرأة .

فقال هالت باسما : لقد صرف سيزار ستة أشهر يحاول معرفة هذا الأمر ولقد أقلت من الخدمة ثلاثة من الكتبة لأنهم سألوا عن ذلك فهل تريد منى أن أقيلك



الفصل الثانى

تريه بون سمث

تشى سو كان يابانيا يتظاهر بأنه صينى وكان يدير مطعما فى باريس لم يكن فاخرا ولكنه كان محط أنظار جميع الطبقات وكان يبعد عن رصيف (فلور) بنحو مائة متر

وكان القوم يعبرون النهر ليتناولوا مايعده تشى من المآكل الغريبة وكثيرا ما كنت ترى مالا يقل عن عشر سيارات مصفوفة فى ذلك الشارع الضيق القائم به ذلك المطعم المسمى (جوريس بدلار)

لم يتناول تريه بون سمث الطعام فى ذلك المطعم قط ولكنه كان كثير التردد عليه وكان المطعم مبنيا فى ناحية وكان بناؤه قديما نوعا ما وربما كان فندقا فى عهد لويس لانك كنت تجد تحته أوسع قبو فى باريس وهو عبارة عن غرفة واسعة معقودة السقف يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثين قدما . خرطها تشى سو الى ما سماه (استراحة) لزبائنه الذين يترددون

عليه بانتظام

وقد تعود تريه بون سمث أن يقصد الى هذه الاستراحة فى كل ليلة حيث يتمطى فى مقعد ممين يدخن غليونه ويفكر من الساعة الثانية عشرة الى الرابعة صباحا

وكان لديه أسباب جمة تمنعه من التجول فى باريس ليلا إذ كان ثمت مؤتمر دولى معقود فهو لا يستطيع الذهاب من ميدان الكونكورد إلى الايطاليان (حى من أحياء باريس دون أن يلتى أحد رجال سكوتلند يارد الذى قد يعرفه

ومن المشكوك فيه أن يستطيع أى زائر للاستراحة أن يعرف فى ذلك الرجل النحيل الذى أرسل لحيته وارتدى ثيابا مهلهلة وقميصا ملطخا بالاقذار ذلك الشاب الذى ربح سباق المائة ياردة ونال جائزة الوثب الطويل فى المباراة بين أكسفورد وكامبردج . ومع ذلك فان بعض دوائر البوليس كانت تعرفه حق المعرفة

وقد أطلقوا عليه فى احدى مقاهى مونمارتر حيث يصرف مساء كل يوم اسم (تريه بون سمث) لأنه كان يجيب كل من وجه اليه كلامه بالالفاظ (تريه بيان) وينطقها بلهجة انجليزية وقد لصق به ذلك الاسم وانتقل معه إلى مطعم تتى سو وهناك كانوا يعتبرونه رجلا خطرا

وكانت تأتي عليه أيام من الاملاق يعد فيها صولدياته (الصولدى جزء من مائة من الفرنك) وقد يختفي عن النظر أياما وليالى ثم يعود الى الظهور منعمة جيوبه بالمال فيصرف أوراق آلاف الفرنكات دون أن يتأثر كأنه الواقف على مائدة القمار فى مونت كارلو

ولكنه مادام غير مختف فهو مواظب على الذهاب الى تشى سو

ان كان تريه جون سمث من المنتظمين فى عاداتهم فكذلك كان سيزار فالنتين . ففى أيام الاثنين والثلاثاء والخميس من كل أسبوع وفى الساعة الثانية صباحا بالدقيقة والثانية كان يظهر فيما يسميه زائرو تشى سو (باللوج الخاص)

فى أحد جدران الاستراحة كان مايشبه شرفة سويسرية مبنياً على ارتفاع نحو خمس عشرة قدماً . ولم يكن لها سعدات الاضاءة وتغطيها أستار كثيفة ويقال ان تشى سو كان يجنى ربحا طائلا بتأجير هذه الشرفة الى الوجهاء الذين يرغبون فى الاطلاع على مايثير النفس من قبائح باريس أو إلى الصحفيين المتجولين الذين يرغبون فى كتابة قصص صينية .

وكان سيزار فالنتين يدخل عادة إلى هذا القبو من باب خاص ولكنه كان أحيانا يخترق الاستراحة وهو ينظر يمينا

ويسارا نظرة المستخف الهازىء ثم يدخل من باب صغير يؤدي الى الشرفة بسلم لولبى من الحديد ثم يصرف ساعة كاملة يرقب فيها المدخنين وتدور عيناه فى أنحاء هذا القبو بما فيه من النقوش الحمراء والمصابيح الصينية والمقاعد الوثيرة مما أكسب القبو شيئا من الجمال

كان تشي سو يقول ان سيزار جميل ولم يكن مبالغا فى وصفه اذ كان عادة مرتديا ثياب المساء المحبوكة عليه وكان يبلغ فى الطول نحو ست أقدام وكان وجهه من تلك الوجوه التى أغرم الاغريق بنحت تماثيلهم على صورتها . وكان يغطى رأسه شعر أسمر أجعد قد وخطه الشيب قليلا . وقد ظن تريه بون سمث عندما رآه لأول مرة أنه يبلغ الثامنة والعشرين وفى المرة الثانية كان ضوء أحد المصابيح قد غمره فظن أنه يبلغ الخمسين . وكانت عيناه كبيرتين رماديتين وأنفه مستقيما وذقنه مستديرة وعلى خديه احمرار خفيف

وفى الليلة التى تبدأ فيها قصتنا كان تريه بون سمث قد قصد إلى تشي سو ودخل من الباب الجانبي المؤدى الى قاعة المدخنين بعد أن خلع رداءه (الماكنتوش) فى البهو حيث كان تشي سو نفسه وهو يبتسم ابتسامة الخبث والدهاء وقد ارتدى قميصا وسراويل من الحرير الازرق يعاونه على

خلع ردائه ثم قال فى لثغة

- ان الجو مطير يامستر سمث

- انها ليلة الشياطين . ليلة سامة لامثيل لها حتى فى باريس

- انك ستدخن كثيراً هذه الليلة فقد ورد لى مقدار جديد من الصين والزائرون كثيرون هذا المساء

فقال تريه بون شيئاً دليل الموافقة ثم نزل على السلم الحجرى الى الاستراحة واتجه الى مقعده الخاص . وكان تشى سو يحجز لزبائنه المنتظمين مقاعدهم الخاصة وكان مقعد المستر سمث مواجها للشرفة الخاصة . وقد جاءه أوسان خادم التدخين بقصبة التدخين وأشعلها له وتركه وانصرف

وكان بالاستراحة قوم مختلفون كالعادة بينهم بعض الوجهاء وامرأة أو اثنتان وسيدعرف سمث فيه أحد الموظفين المتصلين باحدى السفارات العديدة فى باريس وقد حقق النظر فيه ليتمكن من الانتفاع به فى المستقبل

وقد قال أحد الحاضرين .

- لقد نجح تريه بون فى صيده فياله من سعيد الحظ . ولقد حضر من الجيان من شهر وجيوبه مفعمة بأوراق البنكنوت ذات الالف فرنك ووجدت جثة توسو رجل السباق ملقاة فى نهر السين . أظن أنه يجدر بالمسيو تشى سو

أن يحتفظ بهذا المكان لذوى السمعة الطيبة

فلعنه سامعه لأنه قطع عليه حلمه اللذيذ فعاد المتكلم أيضا الى أحلامه وهواجسه

تمدد تربه بون فى مقعده مسنداً رأسه على ذراعه واسترسل فى أحلامه وهى ليست من الاحلام التى يسمح فيه زائرو تشى سو

وفى الساعة الثانية بالضبط دخل سبزار فالنتين ومعه تشى سو الذى كان يصحبه دائما وهو يخترق الاستراحة وكان تشى سو يظهر خضوعا غريبا ويتكلم بعذلة وسبزار لايجيب ولكنه سار الى أن وصل الى مقعد تربه بون سمث الذى كان يقظا مفتوح العينين وبعد أن نظر اليه سبزار مدة وهو ذاهل ذهب الى الباب الذى فتحه له تشى سو وظهر بعد قليل فى الشرفة الخاصة وهناك جلس مسنداً يديه البيضاوين على حافة الشرفة المكسوة بالقطيفة وذقنه مستندة على يديه وأخذ ينظر فى أرجاء الاستراحة . ويظهر أن ذلك الرجل النحيل المسترسل اللحية كان أهم من يلفت نظره لأن عينيه كانتا تعودان الفينة بعد الفينة فتستقر على وجهه

وفى منتصف الساعة الثانية حدثت حركة غريبة وسمعت أصوات عند المدخل المؤدى الى الاستراحة أصوات كلام

وضربات ثم ظهر تشى سو فى اضطراب وصعد إلى مقعد زيه بون سمث فقام زيه بون فى الحال واقفا على قدميه

قال تشى سو : اذهب يامستر سمث فى الحال فقدحضر البوليس من أجلك . هيا . من هذا الباب فالمستر فالنين لايمانع ثم أشار الى الباب المؤدى الى الشرفة

وفى خطوتين كان سمث قد دخل من الباب وأغلقه خلفه ثم صعد فى سكون إلى الشرفة فالتفت اليه سيزار عند دخوله ووجه الحديث لأول مرة الى الرجل الذى لعب دوراً هاما فى حياته :

- انك فى مأزق

- ليس الآن . بل بعد بضع دقائق

ثم فتح قيصه من الامام فرأى سيزار رأس مسدسه وعرف لماذا يضطجع سمث باستمرار على جانبه الايمن فقال سيزار

- أتعرف الطريق ؟ سأريك اياها

ثم رفع ستاراً ظهر وراءه فتحة فى الحائط فر منها سمث وسار فى ممر يضيئه مصباح كهربائى واحد ويؤدى على مايظهر الى نهاية مجهولة . وسمع صوت سيزار من ورائه يقول استمر سائرا إلى الامام ثم بعد ذلك الى يمينك والباب

يفتح بكل سهولة

وجد الهـارب الباب يفتح فى سهولة ثم خرج منه الى ساحة. ثم رأى سيزار يمر بجانبه ويخترق الساحة فى غير تردد، ثم فتح باباً خرجا معاً منه فوجدا انهما فى شارع ضيق. وكان المطر ينهمر مدراراً وعاصفة شديدة تهب

فقال سيزار : انتظر

ثم لف رداء كبيرا حول عاتقه ثم قال

ـ انك أصغر مني سنا فالمطر لايؤذيك

فـكشر سمث عن أسنانه باسما وجر خنجره من غمده. ثم قاده سيزار من حارات كثيرة وفى وقت قصير كانا قد وصلا الى الرصيف. وكانت باريس تعاني ضائقة من الفحم فقللت الاضاءة كثيرا وهذا مما ساعد كثيرا إذ كان الرصيف مهجوراً

وفجأة أمسك فالنتين بذراع رفيقه وقال :

انتظر قليلا. فأنت الشخص ذو اللقب المضحك. أليس كذلك.

فقال سمث فى برود :

ـ لست مسئولا عن اسم سخيف أطلقه على السخفاء

فضحك فالنتين وقال : تربه بون سمث

فانحنى الآخر موافقا

فقال سيزار في اقتناع - هكذا ظننت . وانما أردت أن أتأكد أولا . وليس معنى هذا انني عرضة لارتكاب الاخطاء

فظن الرجل الذي في جواره انه يمزح ولكنه كان مجدا

وقد رأى سمث نورين ضئيلين على الرصيف وظن أنهما مصباحا سيارة سيزار ثم سار متقدما رفيقه وقاصدا إلى السيارة ولكن بينما كان على بعد نحو ٥٠ ياردة من السيارة خرج رجل من الظلام وأخذ بتلابيبه وأدار وجهه وسلط عليه نور مصباح كهربائي . ثم قال بالفرنسية

- هالو . . انك تربه بون سمث . أليس كذلك . انني في حاجة اليك ياصديقي القديم

فتقهقر فالنتين ولجأ الى مكان مظلم يرقب منه

لم يتردد سمث سوى ثانية واحدة ثم بحركة سريعة ضرب المصباح فأطاره من يد الرجل وفي ثانية أخرى قبض على عنقه ورمى به على سور الرصيف الذي يجرى تحته نهر السين ثم قال :

- أنت في حاجة الي - ايه .

ثم رأى فالنتين السلاح يلمع في يد سمث ثم ارتفع وانخفض فارتخت يد الرجل وسقط جثة هامدة على الأرض

نظر سمث يمينا ويساراً ثم انحنى على جثة الرجل وحملها بين ذراعيه وألقى بها من فوق السور الى النهر .

لم يخرج من فم الرجل سوى أنة واحدة ويظهر أن أمراً قد أضحك سمث لأنه ضحك وتناول خنجره الذى كان قد سقط على الارض وألقى به فى النهر وراء الرجل .

لم يتحرك فالنتين إلا بعد أن رأى الخنجر فى الهواء ثم جاء قاصداً الى سمث الذى كان يسمع صوت تنفسه السريع . ثم قال :

- انك سريع الحركة ياصديقى .

ولم يقل غير ذلك ثم سار مسرعا الى السيارة وفتح بابها ولم يكن باستطاعة السائق أن يرى ماقد حصل لأن ضوء الرصيف كان ضئيلا . ولكن قد يكون هناك مشاهد آخر ثم تحركت السيارة الى أن وصلت الى المكان الذى وقعت فيه الجناية فظن سمث أنه رأى بعض الناس على الرصيف فأنزل زجاج نافذة العربة المغطى بماء المطر ليرى . وكانت العربة تسير على مهل وقد ومض ضوؤها الكشاف بكل قوة فرأى سمث على هذا الضوء فتاة ترتدى الملابس السوداء من قمة رأسها الى أخمص قدميها فدوقفت تنظر من سور الرصيف الى النهر وحين وصلت العربة الى جوارها التفتت فوقع نظر

الرجل على أجمل وجه رآه فى حياته وإن كان الحزن العديد مرتسما عليه .

أخرج كتفيه من النافذة وصار ينظر الى الخلف فأحس بيد فالنتين تجره الى الداخل . وقال فى شدة

- ماذا تفعل أيها الأحمق ومن ذا الذى تنظر اليه ؟

فقال سمث وهو يغلق النافذة : لا أحد



الفصل الثالث

منزل سيزار

كان سيزار يملك منازل ومساكن عدة فى باريس وعلى مقربة منها . وكان تريه بون سمث يعلم ذلك حق العلم وقد ظن فى بادىء الامر أن فانتين يذهب به الى مسكنه الفخم فى بولفار مكزور هوجو ولكن العربة واصلت السير مارة بميدان لانوال وأسرعت الى شارع جراند أرميه

لم يكن أمراً هيناً معرفة الاتجاه الذى تتبعه السيارة فى ليلة كهذه ولكنه اتضح بعد حين من صلابة الطريق وخشونتها أن العربة تسير فى اتجاه ميزون لافاييت وما لبثت ان انثنت فى حارة جانبية فيها أسوجة عالية على الجانبين . وسارت العربة ترتفع حيناً وتنخفض آخر فى طريق لا يصلح الا لعربات النقل (الكارو) مدة عشر دقائق ثم انحرفت فجأة نحو اليسار ومرت من بوابة متهدمة

وكان الظلام لا يسمح له برؤية المنزل ولما وقفت العربة

ونزل ضيف فالنتين لم يجد وقتاً يستطيع فيه أن يعرف شيئا عن المنزل سوى أنه قصر ضخم وقد فتح فالنتين الباب بسرعة غير عادية وأدخله فى بهو كبير مظلم ثم أضاء نور كهربائيا ولم يكد سمث يلاحظ أن هناك سلما عريضا يؤدي الى الدور الاعلى حتى قاده فالنتين فى الغرفة المرصوفة (بالباركية) الى باب آخر يؤدي الى (صالون) كبير

وكانت هذه الغرفة تستحق أن تدعى (صالون) فقد كانت شاهقة الارتفاع متسعة وبدائرها وزرة من الخشب الابيض وكان سقفها منقوشا على الطراز المغربي وتضيئها نجفتان كهربائيتان . ولم يكن أثاث الغرفة ورياشها فاخراً فحسب بل كان يصلح للملوك .

ومن الغريب أن تؤثر بعض الاشياء فى نفس الانسان فان سمث لم ينس قط تلك الطنفسة الثمينة التى فرشت فى الصالون فغطته من أوله الى آخره وكان لونها ارجوانيا وموشاة بالذهب وكان النقش الذى عليها زهرة الزنبق وبها حرف (ن) (س) وكذلك لم ينس تلك العلامة الحربية الجميلة المنقوشة فوق المدفأة فكان فى اثنين من زواياها الاربع زهرة الزنبق علامة ملوك فرنسا وثلاثة قضبان من الذهب فى الزاوية الثالثة وثور رابض على أرضية من الذهب

فى الزاوية الرابعة

قال سبزار - اجلس فانك فى حاجة الى شىء من الخمر

ثم ضغط أحد ألواح الوزرة فانزاح من مكانه وأخرج صينية عليها زجاجة وبضع كؤوس فحملها الى الزائر ووضعها على منضدة الى جواره وقال له فى اختصار - اشرب

فملأ سمث كأساً كبيرة من الويسكى

خلع سبزار رداءه وألقى به على ظهر كرسى ثم سار الى المدفأة و (أشعل) مدفأة كهربائية ثم وقف وظهره نحو أشعتها وأخذ يفحص الزائر فى سخرية

كان فالنتين مهوب الطلعة وهو فى ملابس المساء الانيقة وقد أعجب سمث بقميصه الابيض كالثلج والثلاثة الازرار من اللؤلؤ وسلسلة البلاتين الرفيعة الممتدة من جانب صدريته الناصعة البياض الى الجانب الآخر وخيل اليه أنه يعرف سبب ابتسامة السخرية البادية على شفتيه الرقيقتين

- ياصديقى تربه ‌ون سمث . أرأيت فى حياتك رجلا يفصل رأسه بسكين المقصلة ؟

فقال الآخر بسرعة - نعم . لقد رأيت ستة . الامر بسيط وهو أن يساق الرجل الى اللوحة ويوضع رأسه فى الحلقة ثم لا يكون إلا صوت (ترك) فتنزل السكين فاذا

برأس الرجل فى السلة . ثم ـ لتحيا فرنسا

فقطب سيزار جبينه كأنه مستاء من طلاقة ضيفه فى هذا الوصف ولكنه ما لبث أن ضحك وأحنى رأسه ثم قال:

أظن أنك الرجل الذى أحتاج اليه . فهذا هو الموقف الذى يجب أن يقفه الانسان ازاء هذه الحياة . ولكن لا تنسى ياسمث

أنه يجب ألا تسخر من السلطات الحاكمة فهذه السلطات سامية فوق السخرية . قاسية غير عادلة ولكنها غير مضحكة

كان سمث يخلع رداءه المبتل بينما كان سيزار يتكلم

فقال سيزار ـ ضعه أمام المدفأة . بل خير من ذلك أن تقذف به خارج هذا الباب فتقوم المادونا بياتريس باللازم نحوه

ثم أشار الى باب على يمين المدفأة

فأطاع سمث وهو يعجب مما عسى أن تكون هذه المادونا بياتريس

ثم سأله فجأة ـ هل هناك دم على يديك

فقال ـ كلا . فاني صوبت طعنتى الى الفراغ الذى بين الضلعين الخامس والسادس فهناك يكون الدم قليلا

فأحنى سيزار رأسه موافقة بينما كان الآخر يفحص يديه

- انك لم تتناول أفيونا كثيراً هذه الليلة .

ثم أسرع اليه وفحص عينيه

فقال تربه بون فى سكون - أنا لا أدخن الافيون قط اننى لا أذهب الى تشى سو لاتناول الافيون بل لاراقب

فضحك سبزار مرة أخرى وقال

- يالك من ماهر !. ولكن يجب ألا تباشر هذه المهارة معى ياسمث فها أناذا قدخاطرت من أجلك ولتعلم أننى أيضا كنت أذهب الى تشى سو لاراقب . بل لاراقبك أنت

وكان سمث يظن ذلك من قبل غير أنه لم يقل شيئا

فكرر سبزار عبارته

- نعم لأراقبك . فاعا بدار مطعم تشى سو على نفقتى . فهو مفيد لى اذ يبلغنى الاخبار التى يهمني معرفتها . فعندما علمت منه أن مجرما انجليزيا مختبىء فى باريس عن أعين البوليس لأنه ارتكب جريمة قتل فى أمريكا ، وتزوير وكثير من الجرائم الصغيرة اهتممت بأمره

واعلم اننى لا أوافق على ارتكاب مثل هذا النوع من الجرائم وهى تدل على الحماقة ولا تؤدى الى أى شىء اللهم إلا المقصلة أو المشنقة .

كان المنتظر أن يبدى آراءه أيضا عن الجريمة ولكن

الباب فتح فى هذه اللحظة ودخل منه رجل قصير القامة أحمر الشعر امتداحمرار شعره حتى غمر وجهه فصار أحمر متقدا

على كل حال لم يكن هذا الرجل ملائما للوجود فى هذا الصالون ولا هو ملائم للاتصال بسيزار . وقد ظن سمث أن الرجل كان نملا ولم يكن مخطئا فى حسابه

- نعم . ماذا تريد يا أرنست

تقدم أرنست وهو يترنح ثم صعد نظره من سيزار الى سمث ثم قال :

- آه . ان لديك زائراً

وكان صوته خشنا ولغته تدل على ضعته . وكان يوجه خطابه الى سيزار بلهجة تدل على عدم الكلفة بينهما فكانت هذه صدمة لسمث

فقال سيزار فى رقة : نعم . ان لدى زائراً

فصمت الرجل قليلا ثم قال : انى ذاهب غدا

فقال سيزار : أذاهب أنت غدا ؟

- نعم . ذاهب الى لندن . فهل من مانع ؟

فهز سيزار رأسه ضاحكا وقال : كلا . لامانع قط

- أظن انك تعلم أين ترسل مرتبي

- مرتبك ؟ لقد ظننت انك ستترك خدمتي

فقال الرجل مهددا : أنت تعلم أين ترسل مرتبي . انني ذاهب فى أجازة لمدة عشر سنوات .

ثم ضحك على نكنته وكرر قائلا :

- اجازة لمدة عشر سنوات . أليس هذا جميلا ؟

- وعلى أن أرسل اليك مرتبك لمدة عشر سنوات. ايه؟

- ستندم ان لم تفعل . لقد قمت بأعمالك القذرة لمدة ثلاث سنوات . ألا يساوى هذا شيئا ؟

ثم وجه خطابه إلى سمث : سيرى مأفعل ان لم يرسل مرتبي . انني أستطيع أن أؤلف كتابا عن أعمالك يافالنتين

فقال سيزار ضاحكا : أنا واثق انه يكون كتابا شيقا . وهل انتظرتني طول الليل لتقول لى ذلك

- نعم . عندى أشياء كثيرة أود لو أني أقولها لك لولا وجود هذا الرجل هنا

فقال سيزار وهو يضع يده برفق على عاتق الرجل :

- أبق ذلك للصباح. اذهب ياصديق الى فراشك وارسل لى المادونا بياتريس.

- المادونا بياتريس؟ يالها من حسناء هذه المادونا بياتريس

خال سمث أنه رأى وجه سيزار يحمر قليلا . ولكن سيزار ضحك ضحكة رقيقة وسار على مهل الى الباب ودفع

خادمه الجائع فى رفق الى الخارج . ثم قال :

- من الميزات الغريبة فى الخدم أنهم يظنون أنهم مطلعون على أسرار أسيادهم الجنائية . ولعلك جربت ذلك

فقال سمث : انى لا أستخدم خدما يشاطرونى أسرارى وانما أعزو حريتى وسلامتى لذلك

دق الباب دقا خفيفا فالتفت سيزار مسرعا وقال :

- أدخلى يامادونا بياتريس

أثارت الداخلة دهشة سمث . فلقد كان ينتظر أن يرى فتاة حسناء غير أن المادونا بياتريس لم تكن الا امرأة عجوزاً بدينة ذات وجه أسمر شوهته دمامل كثيرة صغيرة وكان شعرها ملفوفا وراء رأسها ومما زاد الطين بلة أنها كانت ترتدى ثوبا أخضر وفتحة صدره مربعة وحول عنقها سلسلة ضخمة من الذهب ذات نقوش همجية وكانت يداها المسمنتان محلاتين بالجواهر . ومع كبر سنها وسخافة ملابسها كانت هيئتها تدل على القوة والصلابة

فقال سيزار باللغة الاسبانية :

يامادونا : ان صديقنا هذا سيقيم لدينا بضعة أيام فارجو اعداد غرفة له

نظرت الى سمث بعيون ثقيلة وأحنت رأسها

ولكن سمث كشف شيئا غير ملابسها الغريبة أثار اهتمامه . لقد نظر الى قدميها فوجدها تلبس أحذية سميكة مبتلة وملطخة بالوحل مما يدل على أنها كانت تطوف فى الخارج فى هذه العاصفة .

ثم قالت : سى سنيورى (نعم ياسيدى)

وقد عجب سمث لما رأى وجال بذهنه لماذا يسميها مادونا وهو اسم ايطالى ولكنه يكلمها بالاسبانية

أما سيزار الذى كان ماهرا فى قراءة الافكار فقد أجاب على سؤاله الذى لم ينطق به بعد ذهابها

- ان مادونا بيانريس اسبانية وايطالية وسأوضح لك ذلك يوما ما

ولم يشر بشىء إلى حوادث هذه الليلة ولكنه أخذ يتكلم عن الجرائم بصفه عامة فقال :

- ان المجرم الصغير لبائس تعيس . خذ مثلا صاحبنا أرنست فهو وغد سافل . غشاش فى اللعب ولص . لقد أخذته فى خدمتى وأتيت به الى فرنسا فى وقت كان البوليس يبحث عنه فيحكم عليه بالاشغال الشاقة لبضع سنوات . فلو أنه كان مجرما راقيا لكان عقله أرقى من ذلك وقلبه أكبر . ولكان يسبح بحمدى طول حياته لأنى جعلته يعيش عيشة

الترف ومدده بالمال فيراهن به على السباق . ولقد علمته الفرنسية أيضا

فقال سمث فى اختصار : ان المال لايشترى الاخلاص

فقال سيزار : أنا من رأيك . غير أن المال يشترى معظم الاشياء التى يتمناها الانسان فى هذا العالم . وهو يشترى مظاهر الاخلاص ونتائجه . فبالمال نشترى حلفاءنا فى الحرب وزيادة قليلة مما ندفع لهم تجعلهم يهجروننا . به أشترى عضويتى لمجلس سناتو فرنسا لو كنت فرنسيا أو لو كنت لا أكره فرنسا . به أستطيع أن أجلس فى هذا المنزل وأرسم خريطة جديدة لأوربا . فبالمال يستطيع الانسان أن يشترى الاعوان والاحزاب بل والامم أيضا

ثم تنهد وأدار ظهره نحو الآخر وأخذ ينظر الى العلامة الحربية المنقوشة فوق المدفأة

فقال سمث على غير انتظار : لمن هذه العلامة الحربية ؟

فدار سيزار على عقبيه مسرعا وقال :

ـ العلامة الحربية ؟ أتدرس الفروسية ؟ كلا ؟ سأخبرك يوما ما . ان المال هو كل شىء ومن السهل الحصول عليه انظر الى . لقد كنت لا أملك شيئا وأنا فى التاسعة عشرة . ولم أشتغل قط ولم أضارب قط ومع ذلك فانى اليوم غنى

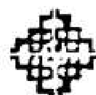
وذلك لأن الله قد وهبني ذهنا خصيبا . ولأني ذو جاذبية للنساء . ويستحيل عليك أن تكون عبقريا لو كنت من ذوى التردد .

ثم قطع الحديث فجأة وقاده الى البهو ثم قال

لقد أعدت غرفتك وغدا نتكلم عن مستقبلك . فليس من الحكمة الآن أن تقيم فى فرنسا . وفضلا عن ذلك فاني فى حاجة اليك فى انجلترا

كانت الغرفة التى أعدت له مفروشة برياش بسيط ولكنه ثمين

انك تحب الشاى فى الصباح لأنك انجليزى . ستجد جميع مايلزمك من أدوات الزينة على المنضدة ولا بد أن تكون مادونا بيانريس قد أعدت لك بيجاما . نعم . هاهى ذى . مساء الخير .



الفصل الرابع

المرأة المسلسلة

وقف تريه بون سمث يصغي الى خطوات سيزار وهو يبتعد ثم فحص غرفته في دقة وعناية . لم يكن بها قفل للباب ولا مزلاج غير ان هذا لم يزعجه . لم يأت به سيزار الى مبزون لافايت ليشي به . ثم جلس على أحد المقعدين المجاورين المدفأة وبدأ يخلع نعليه وهو يفكر في مشروعات سيده الجديد

لماذا أخذه سيزار تحت جناحه . لقد رأى سيزار ما حصل على رصيف دي فلور وعرف انه بابوانه الرجل الذي ارتكب الجريمة يقع تحت طائلة العقاب بناء على القانون الفرنسي

لابد أن يكون مشروعه كبير الاهمية والا لما خاطر هذه المخاطرة . اذ كانت الفتاة قد رأت . تلك الفتاة التي ترتدي الملابس السوداء والتي رآها تطل على النهر . لابد أن تكون قد رأت والا فلماذا وقفت تطل من فوق سور الرصيف

عبس وجه سمث وحك ذقنه . قد تفسد هذه الفتاة

عليه أمره . لنفرض انها ذهبت تبلغ البوليس مارأت ووصل الخبر الى الجرائد . . . لقد حنق على القدر وهو يحل سيور حذائه المبتل . ثم خلع ملابسه المبتلة وأخرج المسدس الذى كان يحمله ووضعه تحت وسادته

لقد كانت البيجاما الحريرية التى أتوا بها له طويلة فشمرها قليلا ثم أطفأ النور وذهب الى النافذة فأزاح الستائر وأخذ ينظر إلى الخارج . وكانت النافذة من النوع الفرنسى الذى يفتح بالامتداد إلى الخارج ففتحها على اتساعها . لقد كان فى الامكان أن يثب منها الانسان فى سهولة لان تحتها حوضا للازهار . لم يكن هناك اذن ما يزعجه من حيث وسائل الهرب

كان المطر قد انقطع وتفرقت السحب ولو أن الريح كانت لاتزال تهب بشدة . كان القمر بدراً وان كان ضوءه ضئيلا ولكنه استعان بهذا الضوء على تعيين الجهة التى هو بها . فهذه الأنوار البعيـدة هى باريس فان كان بقرب ميزون لافايت فهو اذن فى الجنوب الغربى من المدينة

ثم نظر الى الساعة التى على معصمه على ضوء القمر فكانت الثالثة وربعا . بعد ساعتين يطلع النهـار ولـكنه لم يشعر بالنعاس حين عاد إلى النافذة . كان مرج صغير ممتدا قبالة النافذة الى غابة صغيرة من شجر الحور . وفى اليسار كان الطريق

الأصفر الذي وصل منه الى مدخل القصر . وهو يؤدى الى الطريق العام . عاد الى فراشه وتمدد عليه وتغطى ولكنه لم يكن متعبا . فرقد يفكر فى سيزار وفى المستقبل وهو يعجب لأى أمر عظيم اتخذه سيزار فى خدمته ولأى غرض

دقت ساعة بعد الرابعة وبدأ النعاس يأخذ بأجفانه فسمع حركة أيقظته . كانت حركة ضئيلة . كأنها دق قطع من الحديد بعضها ببعض . ولقد صرف زمنا غير يسير قبل أن يعرف من أين يأتي هذا الصوت فقد أتي من خارج النافذة . لعلها نقط المطر تسقط من أحد الميازيب على احدى النوافذ . ولكن سمث كان رجلا كثير الشكوك فقام من فراشه وصعد الى النافذة .

لم ير شيئا فى أول الامر وان كانت السحب قد انقشعت وأضاء القمر بضوئه الوضاح . ثم رأى منظرا قد بلغ من غرابته أن جعل قلبه يثب فى صدره

كان شبح امرأة يسير مخترقا ذلك المرج الصغير وكانت تلبس ملابس بيضاء أو رمادية وكان يلوح أنها تحمل شيئا فى يدها . لم يعرف سمث ماذا كانت تحمل فى يدها الى أن التفتت وسقط نور القمر على وجهها وهى راجعة . فرأى وسمع . سمع صوت رنين الصلب فى وضوح . ظلل عينيه

من أشعة القمر وأخرج رأسه فى احتراس الى جانب النافذة كانت المرأة تسير بخطوات قصيرة غريبة . لقد كان ذلك عجيبا ولعله يستطيع معرفة السبب . جاء بالمرأة سيرها الى بعد نحو عشرين ياردة من النافذة وحينئذ استطاع تربه بوت سمث أن يسمع ويرى (كلنك . كلنك . كلنك) كانت يداها مغلولتين وحول رجليها سلسلة ترن كلما سارت



ولما حدق النظر فيها سمع صوتا منخفضا غليظا يصدر أمراً . كان الصوت آتيا من ظلال الاشجار فدارت المرأة على عقبيها وعادت ادراجها قاصدة تلك الجهة . راقبها سمث حتى اختفت عن نظره ثم عاد الى فراشه فى حيرة وارتباك

لم تكن حوادث الليلة الغريبة قد انتهت بعد . اخذ النعاس يعاوده ولكنه ما لبث أن أيقظه صراخ شديد . صراخ يصحبه صدمة شديدة فى باب غرفة نومه . فوقف على قدميه ومسدسه فى يده . كان الفجر بدأ يلوح فى الجو وكان الضوء كافيا ليرى الباب متحركا ببطء نحو الداخل

ثم فتح الباب فجاة وسقط رجل فى الغرفة يتمتم وينتحب فى ألم ثم بذل مجهودا ليقف فقام يترنح على ركبتيه فعرفه سمث لقد كان هو الرجل الاحمر الشعر . ذلك الرجل المدعو

ارنست ولكن لم يكن وجهه احمر بل كان رماديا شاحبا مخيفا
همس الرجل وهو يلهث - سيزار . سيزار
ثم سقط جثة هامدة
سمعت أصوات خطوات مقبلة ودخل سيزار الى الغرفة
كان يرتدي ثياب النوم مما يدل على أنه قد استيقظ توا .
قال - ماهذا . ارنست . ماذا تفعل هنا ؟
ثم هز الجسم الساكن
- واأسفاه . لقد عاد هذا الرجل الى السكر
ثم رفعه بين يديه كأنه طفل . ثم قال وهو يضعه على فراش سمث

- هل عندك مانع ؟ أضىء النور ياسمث
أطاع تريه بون سمث وانحنى سيزار على الرجل ونظر في عينيه المحملقتين . ثم التفت الى سمث وقال
- لقد مات . من الفظاعة أن يحدث ذلك

الفصل الخامس

سيزار يظهر نفسه

هكذا كان دخول سمث لاول مرة فى منزل سيزار فالنتين . ياللحظ السيء ا ماذا يحدث لو أن البوليس حضر للتحقيق فى وفاة ارنست الفجائى . غير ان ارنست هذا — ارنست جولدبرج كما كان يسمى كان عرضة لنوبات شديدة تعتريه . وفضلا عن ذلك كان مدمنا على المسكر وقد حدث مرتين أن أرسل سيزار الى طبيب مجاور للمنزل ليعالج خادمه

أما ما حصل للرجل فى الليل فلا يستطيع سمث الا أن يتخيله أنه لابد قد وقع له حادث قرب الصباح . ثم حاول جهده أن ينزل السلم قاصدا الى غرفة سمث . لماذا قصد الى غرفته لقد وضح سيزار ذلك . ان هذه الغرفة التى بها سمث كان سيزار معتادا أن يشغلها . وهذا يفسر قوله — سيزار . سيزار وهو يخاطب سمث زاعما أنه سيده

فتح التحقيق كالمعتاد ودهش سمث حين رأى البوليس

يعلم بالايضاح الذى قدمه سيزار فى سهولة . كان سمث مختبئا فى أحد أبراج القصر بينما كان قاضى التحقيق يقوم بعمله .

أتت المادونا بيازيس الصامتة لسمث بطعامه هناك .
وان كان فى البيت خدم ولكن سمث لم ير أحدا منهم
وقد سمح له بالدخول فى الصالون هذه الليلة فوجد سيزار يدخن سيجارا كبيرا ويقرأ كتاب شعر . رفع رأسه عند دخول سمث وأشار له الى كرسى . ثم قال

- ما أخرجك من فرنسا فى ظرف يوم أو اثنين . أرجو ألا يكون ذلك الحادث قد أثر فى أعصابك . انه حادث سىء

فقال سمث وهو يتناول لفافة ويشعلها :

- انه سوء الطالع لكل منا . لقد لقيته أنت بعد ذهابي الى فراشي بكل تأكيد

- لماذا تقول . بكل تأكيد

فقال سمث بصراحة : لأنه مات . لقد لقيته وتناولت معه كأسا من الخمر . ثم مات

لم يقل فالنتين شيئا . وبعد قليل نظر فى وجه محدثه وقال :

- ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟

فقال سمث بصوت خشن : لقد درست الطب ثلاث سنين

فعرفت فى هذه الاثناء نوعا من العقاقير يستعمله أطباء العيون بكثرة . انه سم قاتل ولكنه يختلف عن سائر السموم فى أنه لايترك أثرا . الا أثرا واحدا بحثت عنه فى حالة أرنست

لوى سيزار شفته وقال :

ـ هل كان ذلك الاثر موجودا

فأحنى سمث رأسه وضحك سيزار . لقد شرح ذلك خاطره ثم قال فى سخرية :

ـ عليك أن تقابل قاضى التحقيق وتبوح له عما يساورك من الشكوك

فقال الرجل فى برود : هناك أسباب هامة تمنعنى من ذلك وغاية مافى الامر اننى أود فيما بينى وبينك ألا يتظاهر أحدنا بغير الواقع . لقد كشفت لك خبيئة نفسى فعليك باظهار أوراقك

فقال فالنتين فى جفاء : لقد رميت بأوراقك فى نهر الصين ولم ترسل كورونة أزهار كما أرسلت أنا كورونة الى قبر أرنست

ثم انتصب واقفا وأخذ يذرع الغرفة ذهابا وجيئة ثم قال :

ـ سترى جميع أوراق (حقيقة أمرى) فى الوقت المناسب .

اننى فى حاجة الى رجل مثلك . رجل بلا قلب ولا رحمة .

وسأطلعك يوما ما على سر عظيم

كان سيزار ينظر اليه بهيئة غريبة . كان سمث قد حلق ذقنه ولبس ثيابا جاءه بها سيزار فظهر هذا الرجل الذى جاء من بؤرة تدخين الافيون . ذلك الرجل الذى يطعن رجال البوليس بالخنجر . ظهر أنه رجل لم يجاوز السابعة والعشرين حسن الصورة مقبول الهيئة

فقال سمث فى بطء وهو يشير الى العلامة الحربية :

ـ سأخبرك بسرك الآن . لماذا نقشت هذه العلامة فى هذا المنزل ولماذا نقشت زهرة الزنبق على هذه الطنفسة وحرف (س) لست أعلم ان كنت مجنونا أو عاقلا . قد يكون الامر مجرد جنون فكثيرا ما رأيت كثيرين يتظاهرون باكثر من ذلك ولكنى أظن اننى قد وقفت على حقيقة أمرك

فقال سيزار : ماهى العلامة الحربية

فأجاب الآخر : انها علامة سيزار بورجيا . ان الثور على أرضية من الذهب هى علامة آل بورجيا وحرف (س) هو الحرف الذى اتخذه آل بورجيا شعاراً لهم

فوقف سيزار وثبت نظره على وجه سمث وقال :

ـ لست مجنونا ولا مفاخراً بغير الواقع . اننى حقيقة آخر سلالة لذلك الرجل العظيم سيزار بورجيا نزرت ثالثيه

لم يقل سمث شيئا . وظل صامتا زمنا طويلا . لقد كان فى صغره وهو طالب فى اكسفورد مصدراً موثوقا به فى تاريخ عهد النهضة وكان مطلعا على تاريخ آل بورجيا .

فى منزله القديم قبل أن تعصف به عواصف الزمان فتمزقه شذر مذر كان يحتفظ بصورة يقال أنها من تصوير دافنسى مكتوب عليها « سيزار بورجيا . دوق فالنتين . وكونت ديواس وأيسودون ومطران ايولا وفورلى » .

والآن رأى وجه الشبه بين ذلك الوجه الجرىء النسائى ووجه محدثه

وقال سيزار أخيراً : حسنا ؟

فقال سمث : انه لأمر غريب . ومن أى فرع من العائلة أنت ؟

فقال سيزار : من جيرالومو . جيرالومو هو الابن الوحيد لسيزار . وبعد سقوط سيزار ذهب الى فرنسا ثم الى اسبانيا حيث قام بتعليمه الآباء (الكردينالية) الاسبان ثم تزوج ونزح ولده الى أمريكا الجنوبية وحارب فى بيرو ثم استقرت العائلة فى الأمريكتين مدة قرنين . ثم عاد جدى الى انجلترا وأنا نفسى تعلمت فى انجلترا

فقال سمث : انه لأمر غريب

وأحس انه قال شيئا تافها

وقف كل منهما قبالة الآخر . ذلك المجرم الآتي من تشي سو وذلك العظيم المتناسل من الاسكندر السادس . هذا ماخطر ببال سيزار فى هذا الموقف الغريب فى ذلك الوقت

لقد أظهر سيزار نفسه قبل ذلك لرجال ونساء ولكن كانت هذه الالفاظ (سيزار بورجيا) والعلامات لاتعني فى نظرهم ونظرهن شيئا

ولكن سمث قد عرف وقدر الأمر وكانت ثقة الآخر قد أثرت فى نفسه وكان يود أن يتوغل فى بحث هذا الامر وهو لايشك فى أن سيزار يجيبه إلى مايطلب

قطعت المادونا بياتريس عليهما حبل التفكير . لقدجاءت مسرعة بغير أن تقرع الباب فقام سيزار لمقابلتها ثم حادثته بصوت منخفض فصاح سيزار صياح الدهشة

ثم نظر الى رفيقه فى شيء من الشك ثم قال :

ـ دعها تدخل

دعها تدخل ؟ من هى ؟ تنبه سمث حينئذ . هل قدر له أن يرى شخص ذلك الشبح الذى رآه ليلا . وكان ينوى أن يفحص ذلك الامر فيما بعد أو أنه سيرى فتاة من عاشقاته ؟

عادت المادونا بياتريس الى الغرفة ووراءها فتاة طويلة القامة قد بلغت من الجمال حدا جعله يحبس أنفاسه

وجهت الفتاة النظر الى سيزار ومنه الى سمث ثم عاد نظرها فاستقر على سيزار وكانت هيئتها تدل على عدم المبالاة ثم تقدمت الى سيزار ووضعت شفتيها على جبهته

نظر سمث الى سيزار فرآه باسما . نظر سيزار نحو سمث وأشار بيده قائلا :

- يا ستيفاني . هذا هو المستر سمث . يامستر سمث . هذه ابنتي .

ابنته ؟ فتح فمه في دهشة . ثم تمالك نفسه ومد لها يده فمدت يدها . ثبتت نظرها على وجهه مدة ثم دارت على عقبيها فقال سيزار

- متى جئت الى باريس يابنيتي ؟

- لقد جئت هذا المساء

كاد سمث يشهق لعلمه بكذب ما قالت . انها كانت الفتاة التي كانت ترتدي الثياب السوداء والتي رآها ليلة الامس على رصيف دي فلور وهي التي رأته يلقي برجل البوليس في النهر . أما أنها قد رأته فقد تأكد ذلك عندما نظر الى عينيها .

الفصل السادس

سيزار يتكلم عن رقم ٦

كان تربه بونسمث خفيف النوم ولكنه لم يشعر بسيزار فالنتين عندما دخل الى غرفته الساعة الرابعة من صباح اليوم التالى . وما لمسته يد سيزار حتى هب مستيقظا فسمع سيزار يضحك ويقول

- انك لا تستطيع ياصديقى أن تلتفت وتستخدم مسدسك الذى تحت وسادتك ما دمت أنا أقبض على كتفك بهذا الشكل ألا تظن أنه مما لا أقبله أن أموت بسبب حادث كهذا؟

جلس سمث فى فراشه يفرك عينيه ثم قال

- ماذا جرى

- لم يحصل شىء وانما أتيتك بملابسك وأظن أنها مناسبة لك .

كان سيزار نفسه مرتديا ملابسه . ولابد أنه صرف زمنا ما فى الغرفة لان سمث وجد ملابس جديدة موضوعة على

كرسيين فى الغرفة . ثم قال

ان هذا الرداء الذى اشتريته أمس من باريس قد يلزمك

فقال سمث وهو يغادر الفراش - ماذا جرى ؟

- ان صديقا لى ذاهب الى لندن - انه طيار يتنقل بين لندن وباريس للنزهة وقد سمح بأن ينقلك فى طائرته. أما الجواز اللازم لك فانك تجده فى جيب ردائك

- الى لندن ؟ وماذا أفعل هناك

- تنتظرني هناك وتشغل وقتك فى ...

ثم سمع لانه كان حاد السمع ـ وقع أقدام فى الممر الخارجى فخرج وعاد الى الغرفة ومعه صينية عليها طعام الافطار . ثم قال من باب الايضاح :

- انها المادونا بباريس . أتريد أن تعرف ما تفعل فى لندن ؟ سأخبرك يا صديقى وقد كنت معتزما أن أخبرك ليلة الامس ولكن حضور ابنتى (ثم شدد على لفظ ابنتى) غير انتظار جعل ذلك مستحيلا

- لم أكن أعلم أن لك ابنة . فلا يلوح عليك أنك قد بلغت من السن ما يجعلك أبا لابنة فى مثل سنها

- ربما . (ثم غير مجرى الحديث) . فى لندن ...

وقبل كل شيء هل هناك مانع من ذهابك الى لندن

فقال الآخر - كلا . أن صحيفتي بيضاء نقية في لندن

فاستأنف سيزار حديثه قائلا - ستقيم في لندن بفندق بلنون وتراسلني من هناك بعنوان تجده مكتوبا في مفكرة موضوعة في جيب ردائك ولكن يجب ألا تلقاني إلا لضرورة قصوى . وواجبك هو . كما أخبرتك من قبل . هو أن تجد رقم ٦

فقال سمث محلقا في وجهه - رقم ٦ ؟

فقال سيزار - ان اسكوتلند يارد ذو نظام بديع وأنا أشعر باحترام شديد لرجاله ولكنني غير راض عن كثير من وسائله . وسكتلند يارد لسبب ما يساورهم كثير من الشك من جهتي . لقد صرفت زمنا في انجلترا وأنفقت فيها مالا كثيراً وهم لايعرفون مصدر هذا المال . وفضلا عن ذلك فقد وقع حادث أو حادثان يؤسف عليهما

لم يسأل سمث عن الحادثين ولم يتكرم سيزار بالايضاح بل قال :

- انني من الذين يحبون الاطلاع على ما يدبره أعداؤهم لهم بأسرع ما يمكن . ويزعجني إلا أرى حركات خصومي وأنفق كثيرا من المال لأعرف مانوع الشدائد التي ألقاها

في طريقي . لقد وضعت رجلا في مكتب المكتبة في سكوتلند يارد ليتجسس عليهم وقد أخبرني منذ نحو عام أن مدير المخابرات الجنائية قد عين شخصا لمراقبتي ولفحص حياتي الخاصة .

فقال سمث . وذلك الرجل الذي يرقبك هو رقم ٦

فقال سيزار وهو يحني رأسه موافقة - هو أو هي رقم ٦ لم أستطع معرفة ان كان ذلك الشخص رجلا أو امرأة . لم يذكر عنه في دفاتر دائرة البوليس الا أنه رقم ٦ . وهناك سبب لكل هذا التخفي والغموض فدائرة البوليس في سكتلند يارد يعتقدون أنني شخص شرير . ومما يلفت النظر أن الشخص المعين لهذا الغرض ليس من رجال البوليس النظاميين بل هو شخص يظن في نفسه أو في نفسها أنه يكرهني لاسباب ... خاصة . وهناك . بطبيعة الحال . . . من يكرهني فهناك رجل يدعى ويلاند . ستجد عنوانه في تلك المفكرة . لم أر هذا الرجل من عهد بعيد بل من نحو عشرين عاما قابلت زوجته . (ثم انقطع قليلا عن الكلام) وأظن أنها كانت أكثر سعادة معي مما كانت معه - ردحا من الزمن .

تثاءب سمث ثم قال :

- أرجو أن تعفيني ان كانت قصة غرام

غير أن الآخر كان يسبح فى بحار التفكير . ثم قال

- من سوء الحظ أنها ماتت ، والطفلة التي أتت بها معها ماتت أيضا لسوء الطالع

ثم نظر الى أرض الغرفة فى تفكير عميق ثم قال :

- نعم لسوء الطالع . وويلاند موظف فى الحكومة يقوم بعمل لا أعرفه . وقد قال لاحد رفقائه أنه سيقتلني غير أن هذا لا يزعجني - وقد يكون رقم ٦ أو لا يكون . أظن أنك تستطيع بمهارتك أن تكشف هذا الامر فهو لا يتعذر عليك

فقال سمث : هل من شخص اخر ؟

فقال سيزار وهو يفكر : هناك أقرباء من يدعى المستر جيل . كان جيل شريكا لى فى عمل تجارى . ساءت الاحوال فانتحر جيل لسوء الحظ .

أحنى سمث رأسه موافقة . لقد سمع بالمستر جيل من قبل

- لقد سمعت بحادث المستر جيل ولكنى لم أكن أعرف علاقته بك . لقد كان جيل مديراً لأحد المصارف . ووجد بعد موته أن نحو مائة ألف جنيه قد اختفت من خزائن المصرف

فقال سيزار : لقد كان ذلك من سوء الحظ . وكان الناس

يعرفون أن لى معاملات معه . وقد اتهمتني زوجته . (ثم هز أكتافه) ولكنها ماتت بعد ذلك بقليل

موتا طبيعيا ؟

وقد تقدم السؤال بصراحة ووحشية مؤلمة غير أن سبزار ابتسم ووضع يده على عاتقه وقال :

ـ انك رجل وفق مرامى .

ثم ذهب بعد ذلك ليعد العدة لاستصحاب رجله الى ميدان الطيران الخاص حيث ينتظره ذلك الصديق. ولم يكن هناك ثقة بأن ذلك الطيار ينقل سمث على طائرته لفرط محبته وصداقته لسبزار أو أنه قد تناول على ذلك أجراً باهظا. على كل حال كان الرجل طياراً ماهراً ، وقد وصل بريه بون سمث الى مطار كريدون ، في وقت يسمح له بتناول لافطار الثاني. وكان مسروراً لعودته الى انجلترا . لم يكن سمث من ذوى العواطف الشديدة كما هى الحال مع كل ذوى مهنته على الرغم مما ظهر من ثقافته . ومع ذلك فانه ترك فرنسا متألم القلب. لانظن أن لفظ (متألم) يصلح لوصف حالة قلبه لأن المسألة لم تخرج عن رغبة لم تتحقق . لقد كان يؤمل أن يرى الفتاة مرة أخرى ـ تلك الفتاة ـ ستيفاني الواقفة على سره .

لقد حل فى نفسه أثراً ليس بقليل ولو أنه لم يرها الا

لحظة قصيرة . أثرت فى نفسه تلك العيون الرمادية الزرقاء وتلك البشرة البيضاء الناصعة كاللبن وذلك الوجه الذى لاعيب فيه غير جماله وتلك الشفاه الرقيقة التى قد بلغ من حمرتها أنه ظن فى أول الامر أن تلك الحمرة صناعية

قلنا أن المستر سمث لم يكن من ذوى العواطف غير أن هذا الاثر بقى فى عقله وفى قلبه ولو أنهما لم يتبادلا أكثر من ست كلمات .

ابنة سيزار ؟ ضحك سمث . من سلالة آل بورجيا . أكثر جمالا من جدتها لوكرشيا التى ضرب بجمالها المثل وسارت بذكرها الركبان . تلك السيدة التى شغلت مكانا فى صفحات التاريخ لم يؤهلها له ما كان ينقصها من المواهب أو ما ارتكبته من المآثم والنفاق .

صرف ذكر ستيفانى من ذهنه بمجهود كبير ثم أخذ يفكر فى المهمة التى بعث به سيزار الى انجلترا من أجلها . ولقد حيره اختيار سيزار لفندق بلتون . ان فندق بلتون من الفنادق المشهورة الراقية فلو أنه أرسله الى أحد فنادق بلومزبرى التى يختلط فيها الحابل بالنابل حيث يختفى عن الانظار لفهم المقصود من ذلك . أو لو أنه أرسله الى أحد الفنادق الضخمة التى يؤمها العظماء فلا يؤبه لهم المكان

ذلك مفهوما أيضا . غير أن فندق بلنون لم يكن بالفندق المجهول أو القليل النفقة فهو قائم بقرب شارع كورك ويؤمه رجال ونساء الطبقة الخالية من العمل . وهو المكان الذى يلتقى فيه الانسان بقوم ربما يكون قد التقى بهم فى باريس أو رومة أو يكونون قد عرفوه قبل أن يلتحف بثوب العار أو تثور حول اسمه الشكوك والافكار .

وحين وصل الى الفندق وجد أن غرفته لم تكن فقط قد أعدت له بل أن سيزار قد أوصى له بغرفة معينة

قال مدير الفندق : لاأستطيع أن أضع أمتعتك ياسيدى فى الغرفة رقم ٢١ قبل عصر هذا اليوم فان السيد الذى يشغلها لايغادر الفندق الا فى قطار العصر .

كانت هذه أول مرة سمع فيها سمث أن الغرفة رقم ٢١ محجوزة له . ثم أخذه مدير الفندق على حدة وخفض صوته وقال :

ـ أرجو ألا يسوءك أن أوجه اليك سؤالا عن شىء خاص ... فهل أنت ... أنت ... (ولم يجد الكلمة التى يريد أن يقولها)

فقال سمث وقد ثار اهتمامه : أنا ماذا ؟

أنت لاتغط فى نومك ؟ أرجو أن تصفح ياسيدى عن توجيه هذا السؤال اليك

فقال سمث : لم يسبق لى أن أعرف عن نفسى ذلك

- انني أسألك ياسيدي لان المستر روس لايحب الضوضاء أو الغطيط وهو من المترددين (الزبائن) على فندقنا منذ ثلاثين عاما وهو بالمصادفة مقيم في الغرفة رقم ٤٠

فقال سمث : المستر روس . ومن هو المستر روس ؟

فظهرت الدهشة على وجه مدير الفندق . كيف يعقل أن يوجد في مدينة لندن من يجهل المستر روس . المستر روس هو ذلك المليونير الامريكي . وهو يملك الملايين العديدة . وكان المستر روس عزبا ولكنه كان شاذ الطباع صعب المراس ولم يكن على شيء كبير من الكرم كان يمضي معظم نهاره في نادي الاصلاح (ريفورم) ومع أنه قد عاش في انجلترا أو على مقربة منها نحو ثلاثين عاما فانه لم يكن له فيها أحد من الاصدقاء . وكان يشغل في هذا الفندق الغرفة رقم ٤٠

فقال سمث وهو يوافق على أنه لايغط في نومه :

- ان المليونير الذي لاصديق له لغريب وعجيب

كان سيزار قد أمد سمث بالمال فكانت أول زيارة قام بها الى الخياط في شارع بوند . وبعد أن أخذ قياسه وأمر باعداده مقدار من الملابس لا بأس به سار قاصدا الى (الاستراند). لقد غاب عن لندن نحو اثنى عشر شهرا فكان منظرها بل

رائحتها مما يروق له

وعند ملتقى الاستراند بميدان ترافلجار التقى بالرجل الوحيد فى لندن الذى لايحب أن يراه . لقد رآه على مسافة ما ولكنه لم يحاول أن يتجنب ملاقاته

لم يكن فى الامكان تجاهل هالت مدير مكتب المباحث الجنائية . ذلك الرجل ذى الوجه البارز والشعر الابيض غير المنتظم والشوارب الشمطاء الكثيفة. كان هذا الوجه لاينسى

مر سمث بجواره كأنه يريد أن يتجاهله ولكن هالت وقف فى طريقه وقال :

ـ هالو. هل رجعت الى لندن يامستر تريه بون سمث ؟

فقال سمث فى غير استياء نعم ياجناب الرئيس : لقد عدت الى لندن

فقال هالت : لقد سمعت عنك قصصاً عجيبة . قتل وسرقة وما الى ذلك !!

كان فى عينه بريق . والبريق فى عين هالت لايبشر سامعه بأمر سار ثم قال :

ـ احترس ياصديقى . فقد يحدث لك شىء من المتاعب. لاتقل انى لم أنذرك

فقال سمث : هذا حسن ولكن ان حدث لى شىء من المتاعب فقد يحدث لغيرى أمور هامة . ثم انى أرجو عفواً ياجناب الرئيس . انى أفضل ألا يرانى أحد أتكلم معك لأن ذلك يسىء الى سمعة الانسان

فابتسم هالت ابتساما غريبا وتركه وانصرف



الفصل السابع

قصة ويلاند

واصل سمث سيره الى الاستراند وقد خطر له انه مما يلفت النظر أن يكلفه سبزار بالبحث عن خصومه مع انه يستطيع أن يكلف أي مكتب من مكاتب الاستعلام بذلك . ولم يكن يهمه إلا أن يقف على حركاتهم وسكناتهم وهذا فى مقدور تلك المكاتب . ومنها يتحقق ان كان الرأى الذى كونه صحيحاً أو مخطئا . على أن هناك أشياء كثيرة فى تصرفات سبزار لايفهمها سمث

على جانب الاستراند من جهة النهر يمتد شارع جون الشهير فيمم شطر ذلك الشارع ورقم ١٠٤ منه وكان هذا هو العنوان الذى وجده مكتوبا فى المفكرة أمام اسم ويلاند

كان البيت رقم ١٠٤ بشارع جون كما رآه سمث من الجانب الآخر من الشارع من الطراز القديم على شاكلة المنازل العديدة التى يراها الانسان فى وستاند (أو

الجانب الغربي من لندن)

ومما عزز رأيه فى هذا الصدد اختلاف أنواع الستائر المعلقة وراء النوافذ فى الطابقين الاول والثاني

لما وصل الى باب المنزل وجد زراً كهربائيا صغيرا مكتوب فوقه (حارس المنزل)

كان هذا الحارس شيخا قد أربي على الستين أو السبعين وقد لبس فى صدريته شريط الحرب الافريقية التى وقعت سنة ٩٨ ـ قال الرجل فى دهشة :

ـ ويلاند ؟ كلا . انه لايسكن هذا المنزل !! كيف تسأل عليه هنا؟! لقد ترك هذا المنزل منذ .. أوه منذ زمن لايقل عن عشرين عاما . أنه لأمر عجيب أن تسأل عنه هنا الآن

كان سمث يرى الامر غريبا أيضا ولكنه قال

ـ ولماذا يكون الامر غريبا ؟!

تردد الرجل قليلا ثم دعاه الى الداخل وقاده الى مطبخ الطابق الاول . فلما وصلوا الى مسكن الحارس قال سمث

ـ أكنت تعرف المستر ويلاند

فقال الرجل : أعرفه ؟ كيف لا أعرفه ولم أر فى حياتي ألطف ولا أرق منه . لقد كان يقطن الطبقات الثلاث العليا وآسفاه . حقا انه أمر محزن . بل محزن جداً

فقال سمث (وكان صادقا) : ولكنى لا أعرف قصته ان سمث لم يصدق كل كلمة قالها سيزار . ان كان سيزار من نسل بورجيا فانه كان كذوبا . غير أمين لأصدقائه .. خائنا لأعدائه وعلى وجـه العموم غير أهل للثقة . كان سيزار يستخدمه . لابأس وانمـا هو أيضا يريد أن ينتفع بسيزار . لقد قدم الادلة المعنوية بما أظهر من الذكاء ان له غرضا خاصا من خدمته فهو قد جاء يسعى اليه

كان المستر كيومن حارس المنزل ميالا للكلام فقال فى شىء من المسرة :

ـ انك لاتعرف القصة . ولكني لاأدعى انني أعرفها بحذافيرها وسأقص عليك ماأعرفه منها . كان المستر ويلاند يقطن هذا المنزل وهو عزب أى قبل أن يلتقى بالسيدة التى تزوجها . وبعد شهر العسل عاد الى هـذا المنزل مع زوجه وولدت ابنته (وآسفاه عليها) فى هذا المنزل

لقد كان رجلا طيبا ولكن يظهر أن زوجه لم تجـد الحياة معه كما تنتظر وتتوقع . لقد كانت من تلك النوع من السيدات اللائي لايفرغن من الشكوى لامتياز غيرها عليها من حيث الملابس والمجوهرات وما الى ذلك فكان هذا مما يقلق بال المستر ويلاند قلقا كبيرا

وبعد أن ولدت ابنته بنحو ثمانية أشهر جاء المستر ويلاند بسيد صديق له لتناول الغداء . أنا أعرف ذلك لأنني كنت متعودا أن أقوم بخدمة المائدة اذا كان بالمنزل ضيوف . وكان السيد لطيفا حسن البزة أما اسمه . . . اسمه ماذا كان اسمه ياتري . .

قال سمث من باب التذكير : أكان فالنتين ؟

- نعم . نعم ياسيدي . كان هذا اسمه . وعلى الرغم من جمال صورته فانه كان منحطا سافلا . كانت هيئته تدل على أنه من الوجهاء وكان كثير المال . يملك العربات الفخمة والجياد المطهمة ومنزلا كبيراً في ميدان بلجراف وغير ذلك

بالاختصار صار المستر فالنتين يتردد كثيرا على المنزل بينما يكون المستر ويلاند مشغولا بعمله في المدينة . وكان يأتي أحيانا والمستر ويلاند بالمنزل غير ان هذا كان نادرا . ثم حدثت مشادة بين المستر ويلاند زوجه ولعل سبب المشادة كان خاتما أهداه اليها المستر فالنتين . وذات يوم عاد السيد (لقد كنت دائما أدعوه السيد) الى المنزل فوجد أنها قد ذهبت وحملت الطفلة معها . هربت ياسيدي . ذهبت مع فالنتين الى أمريكا على ما أظن . وكان هذا آخر عهدنا بها فجن جنون السيد وجاءني ذات يوم يقول : اصغ الى

يا كيومن ان ذلك الرجـل سيموت من يدى عاجلا كان ذلك أو آجلا

فقال سمث : وماذا حدث للزوجة ؟

لقد كان سمث فى غنى عن هذا السؤال لو كان يثق بصحة ماقاله سيزار ولـكنه لم يصدقه

فهز الرجل رأسه وقال

- لقد ماتت ياسيدى . لقد سمعت ذلك اتفاقا منذ نحو سنتين لقد ماتت هى وابنتها لاصابتهما بنوع من الحمى ولعلها كانت الحمى الصفراء . ومن العجيب أن تأتي الآن لتسأل عن المستر ويلاند فى هذا الوقت

ثم قام وصعد الى خزانة وقال

- لقد كنت أقلب فى هذه الخزانة هذا الصباح فوجدت هذه الصورة وهى صورة أعطاني اياها يوم زواجه

ثم فتح أحد أدراج الخزانة وأخرج صورة من حجم كبير (كابينه) وأعطاها للزائر . كان الوجه وجه فنان مهذب رقيق غير ان علامات الصلابة ظاهرة فى غضونه مما لم يتوقعه سمث بعد أن سمع من حارس الباب قصته

فالجبهة العالية والانف الطويل الرفيع والفك العريض الثابت كانت كلها من الملامح التى لايسهل نسيانها فقال سمث

- أظن انك لا تستطيع أن تسمح لى بهذه الصورة لأستخرج منها صورة أخرى نظر الرجل الى المستر سمث ثم الى الصورة فى شىء من التردد ثم قال

- كلا . ياسيدى . لا أستطيع أن أفرط فيها فهى مكتوب عليها . انظر . (ثم أراه ما كتب عليها) ومع ذلك ان كنت على استعداد لدفع النفقة أستخرج لك صورة منها

فقال سمث وهو يعطيه جنيها

- هذا مناسب كل المناسبة

ثم خرج الى شارع جون وهو يعجب لماذا يرسله سيزار فى هذه المهمة وهو لابد يعلم أن ويلاند ليس مقيما فى شارع جون فمن المؤكد أنه كلف بعض رجال البوليس السرى للبحث عن الرجل . فماذا يقصد سيزار العظيم الذى يحتقر صغائر الامور . فهل يمكن ان ذكر ويلاند قد زال من فكره إلى أن علم أن دائرة سكوتلانديارد قد عينت من يراقبه ويقف على حركاته فخالجه الشك من جهة ويلاند . ان سيزار ليس من الناس العاديين حتى يحكم عليه بالقياس العادى

ثم توجه الى الفندق وهو ينتظر أن يجد رسالة منه . لقد قال سيزار أنه سيبرح باريس بقطار الظهر فيصل ذلك المساء . ولكنه لم يجد خطابا ولا تلغرافا . فذهب إلى غرفته

التي كانت حينئذ معدة له ثم جلس يفكر في موقفه المعقد. فهاهو ذا تريه بون سمث في خدمة رجل قد يكون أشد رجال العالم خطراً يقوم له بعمل البوليس السري بحجة أنه قد ألقى رجلا في نهر السين

ماهي أنواع الجرائم التي يطلب اليه ارتكابها ياترى ؟ لقد كان يود من صميم قلبه أن يبقى في باريس فقد أثارت رؤية المرأة المكبلة بالحديد ثائرته وهو ذلك الرجل الذي لاتتأثر أعصابه بشيء . لم يكن يشك في أنها سجينة بين يدي سيزار كما كان متأكداً أن ذلك الصوت الرنان الذي يدل على السلطة لم يكن الا صوت المادونا بياتريس تناديها من وسط أشجار الحور . ولكن ماذا فعلت هذه المرأة ؟ ولماذا أبقاها سيزار سجينة وهو آخر سلالة آل بورجيا وهو المشهور (على مايظن سمث) بأنه يتبع أقصر طريق في معاملته لأعدائه ؟! أما كان يستطيع التخلص منها بسهولة بدلا من ابقائها سجينة .

لو أن سيزار عهد اليه فقال « اذبح هذه المرأة فاني لا أجد شجاعة كافية لدي » لفهم الأمر وان كان تريه بون سمث لايستطيع سفك الدماء البريئة . فهو لم يكن قاتلا للنساء ثم خطر له خاطر جنائي لم يلبث أن شرع في تنفيذه فقام

مرة أخرى وخرج قاصداً الى المتحف البريطاني . وهناك في غرفة المطالعة شرع يجدد معلوماته عن آل بورجيا لانه من المؤكد أن سيزار لم يرث عن أسلافه رذائلهم وآثامهم فقط بل كان ينقل عنهم بكل اخلاص وسائلهم الغريبة في ارتكاب الجرائم

كان الكتاب الذى اختاره عبارة عن بحث خاص مختصر كتبه أستاذ أمريكى عن آل بورجيا وقد صرف سمث ساعة ونصف ساعة حتى قرأه من أوله الى آخره . كان تريه بون سمث يعتقد أن مصادفات الحياة ليست الاشطراً من شئون الحياة العادية وأنها ليست مقصورة على مانقرؤه فى القصص أو نشاهده فى الروايات ولاشك أن كل من أوتي شيئا من قوة الملاحظة يوافقه على هذا الرأى غير أنه مما يلفت النظر حقا ويدعو الى العجب أن يكون تريه بون سمث مشغولا بقراءة كتاب عن آل بورجيا بالمتحف البريطاني وهناك فى نفس المتحف رجل آخر يتحرق شوقا لقراءة نفس هذا الكتاب الذى فى يده

أرجع سمث الكتاب الى الكاتب المختص وزعم أن هذا الموظف الذى يرتدى ملابسه الرسمية قد تنفس تنفس الارتياح

قال الكاتب : يسرني ياسيدى أنك أعدت هذا الكتاب بسرعة ثم كتب بطاقة وحمل الكتاب الى رجل مسن كان جالسا على أحد الكراسي ومسندا يديه المغضنتين على يد مظلة وقد نظر بوجه عابس نحو سمث

تناول ذلك الشيخ الكتاب وهو يزأر ثم انتقل الى أحد مكاتب المطالعة

قال الكاتب بعد عودته

- انه لايخطر ببالك أن رجلا يملك كل هذه الملايين يأتي الى المتحف ويجلس زمنا طويلا ينتظر كتابا يستطيع أن يشتريه ببضعة شلنات

فقال سمث وهو ينظر شطر ذلك الرجل المقوس الظهر

- يملك كل هذه الملايين ؟

- نعم . فهذا هو المستر روس العجوز . هل سمعت بالمستر روس المليونير ومن الغريب أن سمث سمع بالمستر روس فى مناسبة غريبة

فقال الكاتب : هذا هو الرجل . وهو يفضل أن يسير على الاقدام عشرة أميال اذا وفر بذلك بنسين

فضحك سمث وقال

- سأخبرك عن شيء آخر عنه . انه لايحب من يعطون

فى النوم .

نظر سمث نظرة أخيرة الى الرجل قبل أن يبرح المتحف وقد خيل اليه أنه يبلغ السبعين من العمر وكان من أهم ملامحه أن له لحية بيضاء قد قصها حتى ليخيل الى من يراه من بعيد أنه حليق الذقن . فكانت هذه الظاهرة وملابسه الرثة مما أثر فى نفس سميث

تناول سمث طعامه فى الفندق وكان ينوى الذهاب الى الملعب (التياترو) ولكنه لما وصل الى البهو أعطاه البواب خطابا قد كتب عنوانه بالآلة الكاتبة هكذا (ت . ب . سمث)

فض الخطاب فاذا به مكتوب على الآلة الكاتبة أيضا وفيه :

« راقب روس . محاموه هم بيكر وسبلى رقم ١٢٦ شارع جيمس الكبير . فان ذهب اليهم أو أرسل فى طلبهم فيجب القضاء عليه » .

وفى الزاوية السفلى اليمني هاتان الكلمتان « رصيف فلور » ولا شك أن الغرض منهما كان تذكرة له كما كان دليلا على المصدر الذى جاء منه الخطاب

هذا هو الغرض الذى يرمى اليه سمث اذن . وهذا هو السبب فى ارساله من تشيسو إلى لندن وفى اقامته فى

الغرفة رقم ٤٤ . كان عليه أن يراقب هـذا الرجل الذى يدرس تاريخ آل بورجيا . وفى حالة معينة يجب القضاء عليه بيد سمث

وضع سمث الخطاب فى جيبه وكشر عن أنيابه وقال فى نفسه :

ـ ان السيد سيزار سرعان ما أخذ يمثل دور المستبد معه لقد كان تربه بون سمث هو القاتل المأجور وعليه . إما أن يرتكب جريمة القتل ويثير بوليس مدينة لندن فى أثره أو يبلغ عنه لجريمة ارتكبها فى فرنسا ويؤاخذ عليها فى اندن ان هذا لم يكن يخطر له ببال



الفصل الثامن

رسالة من مكان مجهول

جلس نوبه بوزسمت فى استراحة الفندق يقرأ الجرائد المسائية ويرقب المستر روس فرآه يبرح غرفة الطعام ويذهب بالمصعد الى الطابق الثاني . فتبعه ذاهبا الى غرفته. ثم انتظر الى ان أطفىء النور علامة على أن المستر روس قد آوى الى فراشه . ولم يكن محتملا أن يلتقى بمحاميه بين الساعة التاسعة والثانية عشرة . وعلى ذلك خرج سمث قاصداً الى الوست اند طالبا للنزهة .

كان رجل يراقب الفندق فرآه يعود فى منتصف الساعة الثانية عشرة . ثم أشار الى رجل آخر كان يتبعه طول المساء وأخذا يقارنان مذكراتهما

قد يكون سمث أو لا يكون على علم بأنه تحت المراقبة . لاسيما بعد انذار هالت له غير انه لم يؤبه لذلك .

صعد الى غرفته وآوى الى فراشه وكاد ينام لولا انه

سمع صوت باب يغلق وخيل اليه أن هذا الصوت آت من الغرفة المجاورة فأطفأ النور وفتح باب غرفته وأصغى ولكنه لم يسمع شيئا

إن الغرفة رقم ٤٠ التى يشغلها المستر روس لم تكن مجرد غرفة بل جناحا من الفندق (على ما بلغه ذلك المساء) وكان هذا الجناح يشمل غرفة نوم بحمام وغرفة جلوس متصلة بغرفة النوم ويمكن الوصول اليها مباشرة من باب كتب عليه (٤٠ - أ)

خرج سمث الى الدهليز (الممر) ثم سار خلفه الى الباب رقم ٤٠ ثم أصغى فلم يسمع صوتا فذهب الى رقم ٤٠ - أ وأصغى ثانية . وبعد قليل لم يذهب تعبه عبثا إذ سمع أصواتا منخفضة

سار الى نهاية الدهليز ليرى إن كان هناك أحد من خدم الفندق ولكن فندق بلتن كان من تلك الفنادق المحترمة التى يؤمها فى الغالب المتقدمون فى السن الذين يأوون الى فراشهم فى ساعة مبكرة من الليل . فعاد الى الباب رقم ٤٠ وحاول فتحه ولدهشته وجد أنه غير مغلق بالمفتاح فدخل وأغلقه خلفه . لقد كان من السهل أن يعتذر اذا ماوجدوه فى الغرفة بأنه حديث العهد بالفندق فضل الطريق الى غرفته وقد دله خيط من الضوء على الباب الذى يصل الغرفتين

فاجترأ وأشعل النور لمدة ثانية واحدة فرأى كما كان ينتظر أن الفراش خال والغرفة خالية . فاطفأ النور فى سكون وسار على أطراف أصابعه الى الباب الذى بين الغرفتين ونشر أذنيه للسمع . كان شخصان يتكلمان . وكان أحد الصوتين خشنا بينما كان الآخر رقيقا ناعما حتى يكاد لا يسمع نبرة منه . لقد كان صوت امرأة ومن الغريب أنه خال أنه سمع هذا الصوت من قبل

انحنى ترن بون سمث وأخذ ينظر من فتحة القفل ولكنه لم ير سوى ظهر أحد المقاعد . فأصغى بكل عناية فلم يسمع شيئا مفهوما . لقد سمع شيئا . سمع روس يقول

- إن كان لهم وجود فى هذا العالم فلابد لى من العثور عليهم . وقد خيل لسدث أنه سمع الرجل العجوز يقول أيضاً

- انه لأمر غريب أن أخدع الى هذا الحد . . .

وفجأة وضعت يد على أكرة الباب فأسرع خارجا من الغرفة فصار فى الدهليز قبل أن يفتح ذلك الباب . لم يكن لديه وقت ليغلق الباب وراءه ولكنه سحبه وهو خارج ثم صار فى غرفته فى أقل من ثانيتين

انتظر فى صبر وراء باب غرفته المغلق وهو يصغى . ولكنه لم يسمع صوتا وبعد أن مرت خمس دقائق اجترأ

وفتحه ثم وقف هناك فى الظلام نحو نصف ساعة الى أن خرج الاثنان .

لقد سمع الرجل يقول :

- مساء الخير ياعزيزتى وليباركك الله .

ثم خال أنه سمع صوت قبلة . فأوسع فتحة الباب وأطل فى الدهليز فوقع الضوء على الشخص الخارج بحيث لايمكن الخطأ . لم يكن الشبح الذى مر ببابه شبح امرأة . بل كان روس نفسه . لقد خرج الرجل وترك المرأة فى غرفته :

ارتبك سمث فلم يدر ماهو صانع مدة من الزمن . وأخيراً تناول قبعة ثم أسرع فى أثر فى الرجل العجوز . ولا بد أنه قد نزل على السلالم لانه عند ماوصل الى آخر الدهليز كان المصعد نازلا . على انه وصل الى الطابق الأرضى والرجل يخرج من باب الفندق

كانت هناك سيارة تنتظره . فما لبث أن دخلها . وبغير أن يصدر أمراً الى السائق تحركت السيارة

نادى سمث سيارة أجرة وقال للسائق :

- اتبع هذه السيارة

لم يجد أية صعوبة فى اتباعها لأن الشوارع كانت خالية تقريبا فلقد أغلقت الملاعب منذ نحو ساعة . غيرأن السائق

كان حريصا وكان الطريق لحسن الحظ هو طريق الملاعب والملاهى فظلت سيارة الأجرة فى ذيل السيارة الأولى طول الطريق دون أن تلفت النظر. وأخيراً وصلت السيارة الى ميدان بورتلند ووقفت أمام منزل هناك . نزل الرجل من السيارة وأخذ مفتاحاً من جيبه وفتح الباب ودخل ذلك المنزل الكبير .

كان سمث قد أوقف عربته على بعد كاف . فتقدم وقرأ رقم المنزل فكان ٤٠٩ . وحين وجد أن السيارة قد بقيت أمام الباب صرف سيارته واختار ركنا مظلما فى أحد أبواب المنازل ثم انتظر

وبعد نصف ساعة فتح باب المنزل رقم ٤٠٩ وخرجت منه فتاة ترتدى رداء طويلا أسود . فخرج سمث من مكمنه واتجه نحوها حيث سارت هى مسرعة الى السيارة. ولكن ضوء الشارع قد أظهر وجهها لقد كانت ستيفاني - ابنة سيزار فقال سمث فى نفسه وهو مرتبك :

- ماذا حدث لذلك الشيخ روس . . . .

ثم ذهب الى فراشه هذه الليلة واللغز لم يحل .



فى صباح اليوم التالى أرسل سيزار فى طلبه وقد كتب

خطابه على الآلة الكاتبة بلهجة الامارة والسلطان التى تتناسب معه كل المناسبة

تقابل الرجلان فى بستان جرين بارك . وكان الجو بديعا والشمس مضيئة وكان سيزار يرتدى ملابس رمادية . كان سيزار يبالغ فى تأنقه غير أن سمث الذى لا يرضيه شىء قد كان راضيا

أشار سيزار الى كرسى فى جواره ثم قال :

ـ لم أكن معتزما أن أرسل فى طلبك ياسمث ولكن قد حدث أمر أو أمران فرأيت من المناسب أن ألقاك لأعلمك أين يمكن أن تجدنى فى الظروف الحرجة

فقال تريه بون فى سكون :

ـ انى أعلم أين يمكننى الاتصال بك فى الظروف الحرجة وغير الحرجة وأظن أن ذلك ممكن فى المنزل رقم ٤٠٩ بميدان بورتلند فنظر اليه سيزار فى حدة وقال :

ـ كيف عرفت ذلك . ان اسمى غير مكتوب فى أى دليل

فقال سمث باشارة لطيفة ـ انى أعرف

فقال سيزار متهما :

ـ لقد تبعتنى . لقد سهرت سهرة طويلة ليلة الأمس..

فضحك سمث وقال :

- صدقني انى لم اتبعك قط . وعلى كل حال لست أدرى كيف أستطيع أن أراقب المستر روس وأراقبك فى وقت واحد

فقال سيزار - كيف عرفت إذن ؟

فقال الآخر - لقد أخبرتنى عصفورة صغيرة والآن خبرني عما جئت بي من أجله يامستر فالنتين

فقال سيزار وهو يحني رأسه :

- لقد راقبتني . ثم غير موضوع الحديث فقال :

ماذا تظن فى المستر روس؟

- انه رجل عظيم . وهيئته قد جذبت قلبى اليه

لم يخبر سيزار أنه رأى ذلك الرجل العظيم يفتح باب منزل سيزار بمفتاح معه ويدخل . فليس ذلك وقته

قال سيزار - انه يملك من عشرة الى عشرين مليونا وليس له وارث ولم يكتب وصية وبموته تعود هذه الأموال الطائلة الى خزانة الحكومة

فنظر اليه سمث وقال :

- كيف عرفت ذلك ؟!

فقال سيزار : لقد عرفت ذلك . هذا سر من أسرارى

ثم انقطع عن الكلام مدة . لقد كان متعوداً أن ينقطع عن الحديث ويسبح فى عالم الخيال والافكار .

وبعد قليل عاد يقول فى تفكير :

- إن الرجال والنساء جميعا يشتغلون الى أن يتصبب عرقهم من الصباح الى المساء ومن أول السنة الى آخرها ليحصلوا على مايكفى لسد رمقهم ويعطيهم شيئامن الراحة يمكنهم من استئناف العمل . أما أنا فلا أشتغل لانني أوتيت عقلا ولأنني لاأنظر الى الحياة نظرة الرجل العادي

ثم قال : وهكذا أنت . هل خطر ببالك انه إن جلس المستر روس الآن وكتب بضعة أسطر على قطعةمن الورق ثم وقع عليها . وشهد عليه خادم غرفة مثلا . فان هذه الاسطر القليلة تجعلنا من كبار الاغنياء . ذوى القدرة والسلطان فى هذا العالم .

فقال سمث . أتريد أن تقول انه اذا كتب وصيته فى صالحنا ثم مات فجأة ؟

فضحك سيزار ضحكا رقيقا ثم قال :

- انك صريح جدا . ولكن ألم يجل بذهنك قط كيف يمكن نقل الثروة من شخص الى شخص آخر فى سهولة اذا كانت وسيلة هذا النقل هى الموت .

اذا عن لى أو لك السطو على بنك انجلترا فانه لايكون لنا شىء من الأمل فى النجاح إن لم نصرف سنين طويلة

فى عمل شاق متواصل استعداداً لذلك . وبعد هذا قد يكون نصيبنا الفشل

فأحنى سمث رأسه موافقا

. واذا عن لنا ـ أنا وأنت ـ أن نزور (شيكا) على حساب المستر روس مثلا فعلينا أن نحاول التغلب على ما يساور عدداً كبيرا من العمال الاذكياء من الشكوك والريب . وعلينا أن ندخل الفعلة على كل منهم على حدة . وقد نفشل فى الختام

فقال سمث موافقا

ـ هذا ما أعلمه حق العلم

فقال سيزار : أليس أسهل من ذلك بكثير أن نجعل المستر روس يوقع وثيقة ذات ستة أسطر

فقال سمث : ان الامر يتوقف على أمور كثيرة . ولعمرى أنى تجاوزت عن صراحتى هذه فاننى أخبرك أن الامر من الصعوبة بمكان . انه لأهون عليك أن تعد العدة لموته قبل أن يحين حينه من أن تجعله يوقع تلك الوثيقة . والا فانه لابد لك من أن تأمر (بكورونه) الازهار لتوضع على قبره

أبرقت عيناه بريق السرور . لقد كان يسره توجيه آيات المديح اليه والثقة بنجاحه فيما يحاوله

فقال : ان غرضى فى الوقت الحاضر هو منعه من التوقيع

على هذه الوثيقة فى صالح شخص آخر. وانى لا أرغب بصفة خاصة أن يموت المستر روس بغير أن يكتب وصية يوزع بها أمواله الطائلة

فنظر اليه سمث فى دهشة وقال :

- أتقصد ذلك حقا . أظن أنك أخبرتنى أن ثروته تؤول إلى خزانة الحكومة ان مات بغير وصية

فقال سيزار : على أن يكون بغير وارث . اذكر دائما على أن يكون بغير وارث

فقال الآخر : ولكن هل له وارث . انه عزب ؟ !!

فقال سيزار : انه ليس عزبا بل هو أرمل . لقد كانت له ابنة وقع بينه وبينها شىء من الفتور ثم ماتت . ومن المرجح انه لو كانت ابنته هذه على قيد الحياة لأوصى بثروته للكلاب دونها

أخذت فكرة تتكون فى ذهن سمث فى بطء. وبدأت بعض النقط الغامضة ينقشع عنها الظلام . لقد كان سريع التفكير وما كان يخاله غيره من الناس غامضاً خفيا لم يكن يخفى عليه . وسيزار نفسه لم يكن يجاريه فى سرعة الاستنتاج والاستدلال من بعض الوجوه . لقد كان سمث حقاً حائرا مرتبكا لا يستطيع تعليل بضعة أشياء حدثت فى هذه الأيام

القليلة الأخيرة . ولكنه بدأ الآن يفتح عينيه (فيرى) ثم قال :

ـ كم تكون سن ابنته الآن لو أنها عاشت

فقال سيزار فى سرعة : سبعة وأربعين عاما . أقل منى بثلاث سنين ـ اذن هو قد بلغ الخمسين . يلوح عليه فى بعض الظروف أنه قد بلغ هذه السن ولكنه اليوم لا يزيد فى نظر الناس على خمسة وثلاثين

وعاد سيزار يقول :

ـ سبعة وأربعين . لقد فرت من المنزل وهى لا تزيد على العشرين إلا بقليل وتزوجت رجلا موسيقيا أو نحو ذلك فكتب الرجل وصية حرمها فيها من ميراثه وترك ثروته لأحد ملاجىء الايتام . ولما سمع بموتها مزق هذه الوصية وهو ينوي أن يكتب غيرها على ما أظن . ها أنت ذا ترى انى مطلع على كل ما يختص بحياة روس الخاصة

فقال سمث : لنفرض أنها لم تمت

فالتفت سيزار مسرعا نحو محدثه وقال :

ـ يا للشيطان . ماذا تعنى بذلك ؟

كانت هذه أول مرة رأى فيها سيزار مضطربا

فعاد يقول : لنفرض أنها لم تمت

فقال ميزار وهو يهز اكتافه :

- في هذه الحالة ترث هي ثروته الطائلة اذا مات

فقال سمث : وهل تأتى بها ؟ !

فبقى ميزار ساكتا فعاد سمث يقول

- هل تأتى بها وتسمح لها بالذهاب أمام محكمة انجليزيه فتروى قصة عن سنين عدة قضتها سجينة في عزلة في ضيعتك الفرنسية . هل يرضيك أن تقص على قاضى المحكمة العليا كيف كنت تسمح لها بالخروج للرياضة في منتصف الليل وهى مكبلة اليدين مغلولة القدمين

امتقع وجه ميزار حتى صار كوجه ميت وظهرت عليه السنون الخمسون ولكن الرجل ذو الاسم السخيف ظل يتكلم في غير شفقة لأنه قصد أن يجعل ذلك الرجل يكشف أوراقه (يسلم بأنه مغلوب)

ان هذه المرأة قد تزوجت من موسيقى وهو من هواة الموسيقى واسمه . ان لم أكن مخطئا هو ويلاند

فظهر على وجهه الألم . لقد غلبه سمث مرة أخرى

- ثم تقف أنت على علاقتها بروس وتذهب بها الى خارج البلاد منتظرا أن يطلقها ويلاندو لكن ويلاند لا يقدم على الطلاق . ثم تضطرب حال المرأة ويعتورها القلق وربما

تموت ابنتها أما هى فمن المؤكد أنها فى عالم الأحياء

بعد هذا عاد الهواء الى سيزار وبدأت ابتسامة السخرية تظهر على وجهه ثم قال :

- يالك من رجل مدهش القد وقفت على معظم الحقيقة ماتت الطفلة فى الوقت الذى ولدت فيه ستيفانى كورينة لملايين روس . والآن ها أنت ذا قد عرفت كل شىء أو بعبارة أخرى استنتجت كل شىء . انك ماهر ياسمث أمهر مما كنت أظن . ان لك نصيبا من هذه الثروة ان اشتركت معى فى العمل . أما اذا لم تقبل الاشتراك معى . .

فقال سمث باسماً : فموت سريع خال من الألم . ولكن عليك أن تحاذر ألا يكون سكينى أسرع من عقاقيرك

ثم نظر الى الأرض فوجد خطابا فى ظرف مختوم عند قدميه فانحنى والتقطه ثم قال :

- هل وقع منك هذا ؟! ان اسمك مكتوب عليه

فقال سيزار وهو يقرأ العنوان « سيزار فالنتين » :

انه لم يسقط منى

لقد كان ملصقا بالشمع ومختوما بالشمع ففتحه بوجه عابس

لقد رأى سمث وجهه يتصلب وعينيه ترتعزان. هل كان الخوف قد دب فى قلبه لقد زعم سمث ذلك !!!

أعطى سيزار الخطاب لسمت ثم التفت يمينا ويسارا قائلا

- من أين جاء هذا ؟

ولكن لم يكن هناك أحد . كان الخطاب يحتوى على ثلاثة أسطر مكتوبة بحروف تشبه حروف المطبعة (وكلها من الحروف الا كبيرة)

وكان به هذه العبارة

« سيزار : انك لست من الخالدين . تذكر هذا .

والامضاء . (رقم ٦)

قرأه سمت فى سكون ولكن سيزار اختطفه من يده ودعكه فى يده الى أن صار مثل كرة وألقى به بعيداً وهو يشتم ثم قال فى غضب :

- ياويلاند . ان عثرت بك قبل أن تصل الى . فحذار من سيزار

فقال سمت فى ثقة وهو يضحك :

- أظن أننا سنجد ويلاند أولا

كانت الضحكة التى ضحكها سمت هى التى سمعها سيزار فى تلك الليلة على رصيف دى فلور عند ما ألقى تربه يون سمث تلك السكين فى نهر السين

الفصل التاسع

السطو على غرفة المستر سمث

إن كبار المجرمين ككبار الأبطال لايسلمون من التجريح اذا تعرضوا للبحث الدقيق فى شئونهم . لقد كان فى درع سبزار فالنتين خروق وشقوق لم يكن سمث يظن لها وجودا وهو ذلك الاستاذ الذى درس الانسانية درساً هادئا . لقد كان الرجل كثير الغرور ولكنه كان أيضاً كبير الكفاية والمقدرة . لقد كان كثير المهارة وفى كثير من الظروف كان سمث يسلم بأن له أخصب ذهن وأعجب عقل رآه فى حياته

كان عبقريا ولكن عبقريته لم تكن فى القيادة بقدر ماكانت فى السياسة الدبلوماسية وكان من هذه الناحية يشبه أسلافه آل بورجيا ان كان حقا من نسلهم . لم يكسب آل بورجيا مواقعهم فى ميدان القتال بل فى ميدان المال فان استولوا على مدينة بالهجوم استولوا على عشر مدن بالرشوة

لقد أرسل سيزار فى طلب سمث عصر ذلك اليوم أيضا وفى هذه المرة ذهب الى المنزل رقم ٢٠٩ بميدان بورتلند فقاده أحد الخدم الى غرفة المكتبة الجميلة حيث كان سيزار ينتظره بفارغ الصبر . فقال له بعد أن حياه

- يجب العثور على ويلاند . لقد كلفت أحــد مكاتب الاعمال السرية بالبحث عنه وأمرتهم أن يبذلوا آخر جهدهم بغض النظر عما يستدعى ذلك من النفقات . أما مقتنع بأن الرجل لايزال حيا بدليل أن أحد أعواني قد رآه فى مدينة يورك منذ مدة لاتزيد على سنتين

فقال سمث فى شيء من الاستياء

لماذا اذن . ارسلتنى للبحث عنه ؟!

فقال سيزار : وربما كان صادقا

- لانه خطر لى أنه قد يكون على اتصال بذلك العنوان هناك رجلان لابد أن يكون أحدهما هو رقم ٦ أحــدهما هو ابن المستر جيل . .

فقال سمث مقاطعا :

ان ابن المستر جيل فى بلاد الارجنتين . يشتغل بالزراعة

فقال سيزار : من أين علمت ذلك ؟!

فقال الآخر : ان الأمر بسيط . ان موظفى المصرف

الذى سطوت عليه . . .

فقال سيزار : سطوت عليه ؟

فقال الآخر . الذى سطا عليه بعض الناس . ليس من الأمور الهامة معرفة من الذى سرقه . على كل حال لقد علمت أن موظفى هذا المصرف على اتصال به ويظهر أنه عهد اليهم برد المال الذى ضاع على ذلك المصرف. وعلى ذلك يمكنك أن تخرج جيل من حسابك

فقال سيزار : لابد أن يكون ويلاند . لابد أن يكون ويلاند. لاشك فى أن الاخبار التى وصلت الى من سكوتلنديارد صحيحة فالرجل الذى يدعو نفسه رقم ٦ . .

فقال سمث : قد يكون امرأة

- كلا . كلا . لايمكن أن يكون امرأة . ان المرأة لاتجرأ . انه ويلاند هو أحد الهواة تقدم الى رئيس قسم الابحاث الجنائية وأغراه على أن يعهد اليه بهذا العمل . اذكر أنهم لايعلمون شيئا ضدى فى سكوتلنديارد : وليس لديهم أدلة بل هم لايستطيعون أن يقولوا انني ارتكبت جريمة معينة كل مافى الأمر إن بعض الشكوك أو القلق يساورهم

فوافق سمث على ماقال. ليس من الحكمة مخالفة ذلك الرأى

ثم قال فجأة : عد الى روس . أما ويلاند فسأتصرف أنا

فى أمره .

- هل زاره أحد ؟

فقال سمث : من ؟ روس . كلا لم يزره أحد

فكرر قائلا : ألم يزره أحد ؟

فهز سمث رأسه . انه يستطيع أن يكذب كما يكذب سيزار فالنتين على كل حال كانت له مصلحة يجب أن يراعيها ويسعى وراءها فلم يندم حتى بينه وبين نفسه على هذا الخداع فلا بد من حصول أمور كثيرة فى قضية سيزار المعقدة قبل أن تظهر لعبة سمث لقد كان سيزار مطمئنا لأنه فى قبضته . لقد كان لسمث أيضا قبضة فأراد أن يلقى سيزار على قدم المساواة

لقد كان سمث يحب الحياة كما يحبها أى انسان وكان يعلم بيقين ان كل مايحصل عليه من المعلومات عن سيزار قد ينتفع به وقت الحاجة . وكان لغز المستر روس وزيارته الغريبة المنزل رقم ٥٠٠ بميدان بورتلند فى غياب سيزار من الالغاز التى لايستطع لها حلا حتى الآن

ثم قال سمث فجأة :

- ماذا كنت تفعل لو أنك لم تلقنى . ان ارنست النعس ما كان يستطيع أن يقوم بهذا العمل بدلا منى

فقال الآخر فى برود : لقد كان ارنست وافيا بالغرض الذي أخذته من أجله . لقد قام ببعض الاعمال الضرورية ولكن عقله كان عقل حازم . مسكين ارنست

ظن سمث وهو عائد الى الفندق انه لم يقل ذلك عن رياء فى الواقع كان سمث يحس أن الرجل آسف . إن الضرورة قد قضت عليه أن يتخلص من خادم مشاغب . لقد كان فى تركيب سيزار نسيج خشن يتفق مع صفات هذا الخادم الغريب

ماهى المآثم التى ارتكبها ارنست لسيده . لم يقدر سمث أن يعرفها وذلك لان المدى الذى بلغه جرثومته لم يتضح بعد لسمث . لقد جاء سمث و تدخل فى حياة بورجيا وقت نضوج المكيدة الهائلة التى استغرقت سنين عدة فى اعدادها وكان سيزار يرى أنه من الضروري له أن يحصل على هذا المال ليعيش فى الراحة التى ينشدها . وقد أبعد المشتركين فى رفع هذا المال الى خزانته مرغمين عن جميع مسارح الهيئة الاجتماعية

لقد كانت مراقبة روس من الامور المملة فكان سمث يتمنى لو أنه أعطى عملا يستدعى شيئا من النشاط والحركة ولم يخف احساسه على سيزار عند مقابلته صباح اليوم التالى

فقال سيزار بلا مبالاة ولا شعور

- آسف . انني لا أستطيع أن أقدم لك كل يوم رقبة تحزها فعليك أن تعنى بأمر روس

فقال تربه بون فى شكوى :

- ان روس يقضى معظم وقته فى نادى ريفوم (الاصلاح) يقرأ بعض المجلات الانجليزيه السخيفة: وقد سئمت المراقبة فى ذلك النادى

فقال سيزار - استمر على مراقبته

وفى مساء ذلك اليوم تكلم بالتليفون مع سمث فى شيء من الانفعال

- لقد وجد

- من ؟

- ويلاند . أنا ذاهب لملاقاته . كان صوته مرتعشا) لقد وجد فى مانشستر . وهو يقيم فى مسكن حقير بالضواحى . فقال سمث حين لم يجد شيئا يقوله :

- أوه . أنت ذاهب لملاقاته .

ولكن سيزار كان قد قطع المواصلة

لا يعلم أحد ماذا كان رأى سمث فى هذا الحديث. لانه قد وقع له ما حول عقله الى شئونه الخاصة. وقع له ما أزعجه وقد علم بالامر عند عودته الى الفندق .

لقد أحرز سمث فى اثنى عشر شهرا أقامها فى عاصمة الفرنسيين شهرة كبيرة ولقبا . نعم أحرز مالم يحرزه من هم أكبر منه شأنا ولكنه لا يزال على طبيعته البشرية يكره كل الكراهة أن يغشى بعض الهواة غرفته فيفتح حقائبه ومكتبه الخاص .

وقد قلنا الهواة لان اللص المدرب لا يقطع السيور بدلا من فتح الاقفال . وبعد أن يقلب الحقائب رأسا على عقب لا يترك الملابس وغيرها من المحتويات مكومة على أرض الغرفة والهواة فقط هم الذين يفتشون الملابس ولا يعيدونها الى المشاجب التى كانت معلقة عليها

أرسل سمث فى طلب مدير الفندق وأراه ما تركه اللص من الارتباك فلم يسع المدير الا الاعتذار فهو لا يذكر أنه رأى رجلا غريبا او امرأة أجنبية تأتي الى الفندق وكذلك الخدم لا يذكرون شيئا من هذا

ان الشخص الوحيد الذى حضر الى الفندق هو تلك السيدة التى جاءت لزيارة المستر روس . ولكن هذه السيدة كانت صغيرة السن . راقية لا يمكن أن تقدم على هذا العمل الشائن .

وعند ذكر هذه السيدة عاد الهدوء الى سمث . لقد

كان يخشى أن يكون أحد ضباط سكوتلند يارد هو الذى قام بهذا العمل على أمل أن يتأكد من بعض الشكوك التى خطرت بباله . أن الضباط الشباب الأذكياء المملوئين نشاطا والذين يدخلون قسم المباحث الجنائية يكونون فى الغالب غيورين على عملهم . وكان سمث يكره أن يذهب الى المستر هالت ويقدم شكوى من ضباطه

لابد أن يكون من قام بهذا العمل من الهواة وقد تأكد ذلك عند فحص الاشياء مرة أخرى . لقد وجد نقطة من الدم على ورقة النشاف .



الفصل العاشر

السيدة التى تصنع التماثيل

ذهب سمث الى المنزل رقم ٢٠٩ بميدان بورتلند فأخبره الخادم أن المستر فالنتين قد خرج ولا يعود قبل المساء. فسأل ان كانت السيدة موجودة . نعم . كانت موجودة فطلب الى الخادم أن يسألها عما اذا كانت تسمح بمقابلته ثم أعطاه بطاقة مكتوبا عليها

« اللورد هنرى جونس » وهى من البطاقات التى تستعمل للتعمية فى القارة (أوربا) ويكون لها تأثير عظيم لأن القوم هناك لا يعلمون أنه لا يمكن أن يدعى شخص ما « اللورد هنرى جونس »

قاده الخادم الى غرفة الاستقبال ثم نزلت الفتاة وفى يدها بطاقة ولكنها وقفت كالمصعوقة عند باب الغرفة عندما رأت ذلك الرجل الذى كان فى نظرها من كبار المجرمين

كان سمث من جميع الوجوه رجل الصلابة والقسوة

على الرغم من معرفته بكثير من النساء الجميلات . غير انه لم ير هذه الفتاة مرة الا والتصق لسانه بسقف حلقه ثم تحول من رجل عاقل هادىء فصيح اللسان الى شاب طائش أحمق لايستطيع الكلام الا فى تمتمة غير مفهومة .

لم يكن ذلك بتأثير جمالها فقط . أو نفسيتها بل كان هناك شىء فى شخصيتها جذب قلبه فصار لها عبداً

قالت الفتاة : هل هو أنت

فقال وهو يتمتم كتلميذ صغير : نعم . ولماذا لا أكون أنا . لقد أتيت لألقاك فى مسألة هامة .

ثم نظر إلى يدها . لقد كان أحد أصابعها مربوطا . فضحك وقد استعاد هدوءه وسكينته

قالت الفتاة فى برود : ان أبي قد خرج وأخشى ألا أستطيع أن أفعل شيئا من أجلك

فقال الرجل فى هدوء . انك تستطيعين أن تفعلى أشياء كثيرة من أجلى أيتها الآنسة فالنتين . فتستطيعين مثلا ان تمديني بكثير من الاخبار والمعلومات

فقالت : عن أى شىء ؟

فقالت فى جرأة : عن أصبعك أولا . فهل جرح جرحا بليغا

فسألته فى سرعة : ماذا تقصد بهذا السؤال ؟

فقال سمث فى رقة : لقد كنت تفتحين محفظة الكتابة فى غرفتى صباح اليوم بسكين أو مقص فجرحت أصبعك وتركت نقطة من الدم هناك

علت وجهها فى الحال حمرة الخجل وظهر عليها الارتباك وليس أغرب منظراً من شخص تنظر اليه بعين الخوف فتراه مرتبكا متحيراً ولكنها كانت عاقلة فلم تحاول الاجابة

فقال سمث : ألا تسمحين لى بالجلوس !؟

فأشارت بيدها إلى أحد المقاعد . وبعد جلوسه قال :

ـ ماذا كنت تتوقعين أن تجدى فى محفظتى . أدلة على اجرامى ؟ !

فقالت : ان لدى هذه الادلة . هل نسيت اننى كنت على رصيف دى فلور تلك الليلة

لم تعين الليلة التى تقصدها ولكنه لم يجد مايدعو إلى طلب أى ايضاح منها . وما أدهش سمث كل الدهشة هو الهدوء البادى عليها . فهى لم ترتجف مع أنها قد رأت بعينها مايدعى بحق جريمة فظيعة . نعم فقد ذكرت « تلك الليلة » كأنها شريكة فى الجرم لامشاهدة

فقال سمث : نعم . أذكر ذلك . ومن الغريب اننى دائما

أذكر مثل هذه الاشياء .

ولكن هذه السخرية لم تكن ذات تأثير يذكر . ثم قالت :

- مادمت هنا الآن يامستر سمث فلنشرب الشاي معي . انني أشرب الشاي مبكرة

أحنى سمث رأسه . لقد كان على استعداد لشرب الشاي أو أي مشروب أكثر مضرة مادامت تقدمه له بيدها الجميلة الى هذا الحد قد وصل به غرامه بها

دقت جرسا ثم عادت الى كرسيها ونظرت اليه وقالت والابتسام يلوح في عينيها :

- اذن أنت تظن انني من اللصوص

فقال سمث متلعثما : انني لا أظن فيك شيئا من ذلك الحقيقة انني ظننت أن أباك . . ربما يكون قد أرسلك . . .

فقالت الفتاة فجأة :

- اننا جماعة من أغرب الناس . أقصد أبي وأنت وأنا

فقال سمث : والمستر روس

فنظرت اليه في شيء من الانزعاج . ثم قالت :

- هذا صحيح . والمستر روس أيضا لقد وضعك المستر فالنتين في الغرفة المجاورة لغرفته لتراقبه . أليس كذلك ؟!

لقد انزعج سمث هذه المرة . وقد كان يعلم انه اذا أراد

الانسان للتخلص من موقف محرج فعليه أن يقول شيئاً محرجا

فقال : لست أرى أن هناك مايدعوني لمراقبة المستر روس من أجل أبيك لأنه يستطيع أن يراقبه وهو في منزله

فقالت : مامعنى هذا ؟!

فقال سمث : ظننت أن المستر روس ممن يزورون هذا المنزل

- يزور هذا المنزل ؟

كانت عيناها مثبتتين على وجهه فلم يلبث أن رأى بريق الضوء يسطع فيهما وتعلو وجهها الحمرة . ثم أجهدت نفسها نحو ثانية أو ثانيتين تمنع الضحك . ثم جلست في مقعدها وأطلقت لنفسها عنان الضحك الطويل . ثم قالت

ماأعجب ماتقول . المستر روس يزور هذا المنزل وهل رأيته يأتي .؟!

فقال سمث في جرأة : نعم رأيته

- وهل رأيته يذهب

- كلا . لم أره يذهب ؟

فقالت جادة : كان يجب أن تراقبه حتى يذهب . كان يجب أن تتأكد من رجوعه الى الفندق وذهابه الى فراشه . أليس هذا هو العمل الذي تتقاضى الأجر عليه

تألم سمث للسخرية الظاهرة في لهجتها .

ثم قال بعد قليل : اذن لقد رأيت المستر روس يأتي الى هـذا المنزل . وهل أخبرت والدى بذلك . لاشك انك لم تخبره

فهز سمث رأسه وقال : كلا . لم أخبره بشيء

فنظرت اليه نظرة غريبة

وحينئذ دخل أحد الخدم يحمل صينية من الفضة عليها معدات الشاى فأصبح الحديث مستحيلا

وحين ذهب الرجل وملأت الفتاة الفنا جين جلست ويداها فى حجرها غارقة فى بحار التفكير كأنها تحل معضلة وأخيراً قالت :

ـ اسمع يامستر سمث . لعلك تظن أنه من البشاعة أن أتكلم بهذا الاستخفاف عن حادث رصيف دى فلور . ولكن لذلك سبب

فقال سمث فى هدوء : انني أعرف هذا السبب

فقالت : لاأدرى ان كنت تعلم . فى الواقع كان يجب أن أتجنبك كما يتجنب السليم الأجرب وأن أصرخ فى طلب البوليس اذا ما اقتربت منى لأنك مجرم فظيع . أليس كذلك .

فكشر سمث عن أنيابه فى قلق . انها هى الشخص

الوحيد الذى يستطيع أن يجعله يحس بالخجل . ثم قال :

ـ نعم . أظن اننى مجرم فظيع وان كان لى . . .

فقالت الفتاة : لك صحيفة بيضاء نقية فى انجلترا . أعرف ذلك .

ثم نظرت فى وجهه وهى لاتعلم من الذى سبق فقال هذه العبارة على مسمع منها ثم تذكرت أنه سمث نفسه . ثم قالت :

ـ اننى فتاة على شىء من الغرابة وذلك لأن حياتى كانت الى حد ما غريبة . لقد قضيت أيام صغرى فى مدينة فى نيوجرسى . .

فقال سمث وهو يحرك السكر : ماأعجب وأغرب

فقالت : لاتسخر . لقد كانت حياتى سعيدة جداً فى أمريكا لولا ما كنت أشعر به من الوحدة لأن والدى لم يكونا معى . صحيح أن أبى كان يأتى أحيانا ولكنه . . . كيف أصفه ؟ ممقوت ؟

كانت عيناها طول الوقت محدقتين فى وجهه فرأت سمث يحنى رأسه موافقة . ثم قالت :

ـ لقد كنت أنوى البقاء فى نيو جرسى زمنا طويلا . بل ربما كنت قضيت حياتى كلها هناك . لأننى كنت

أحب ذلك المكان . ولكن ... (ثم ترددت قليلا) . . . ولكني وقفت على سر مريع

فقال سمث : الى أى حدهو مريع

فقالت : كلا . لا أريد أن أخبرك بذلك . على الأقل ليس هذا هو الوقت المناسب لذلك

فقال : لعلك اذا أخبرتني قد يساعدني ذلك مساعدة كبيرة . ويساعدك أيضا

فنظرت اليه فى شك ثم هزت رأسها . ثم قالت

- لست أدرى . على انى سأخبرك طرفاً من سرى ولن أطلب منك الكتمان لأننى واثقة من انه سيبقى مكتوما لديك . . فأنت تعلم اننى مطلعة على سر من أسرارك

فقال سمث : لقد كنت أخشى أن تبوحى بسرى ...

فقاطعته قائلة : لا . لا لاداعى للكلام فى هذا الموضوع وسترى انى سأدهشك يوما ما

فقال سمث : ماالسر الذى وقفت عليه فى نيوجرس

فقالت الفتاة متمهلة :

- بعد أن ماتت أمى وذهب أبي إلى أوربا ترك أشياء كثيرة عند محاميه القاضى كرام . وكان هذا القاضى يدفع كل النفقات اللازمة لى ولادارة المنزل ويدفع لى مرتبا

شهر بالمصروف فى حين بلغت السن التى تسمح لى بمصروف خاص. وبالجملة كان يقوم مقام والدى .

وبينما كان المسترقالنتين فى أوربامات ذلك القاضى وانتقل مكتبه وعمله الى أيدى قوم غرباء . وكان أول عمل قام به هؤلاء الغرباء هو أنهم ردوا الى صندوقاصغيراً أسود كان أبي قد أودعه مكتب ذلك القاضى المحافظة عليه .

ويخيل الى أن ذلك القاضى كان عند موته قد انقطع عن النظر فى شئون أبي لأن النقود كانت تصل الى من أحد المصارف فربما رأى المحامى الجديد أن مكتبه مزدحم بالصناديق غير المطلوبة فقام بعمل تصفية وأرسل الى مايخص أبي .

لم يكن لدى أية فكرة عما يجب أن أصنع بهذا الصندوق الى أن أبدت السيدة نيل وهى السيدة التى تعنى بأمرى أنها ترى ان أرسل الصندوق الى أبي فى أوربا بالبريد المسجل وبالطبع لم يكن فى امكاني أن أرسل صندوقا كبيراً ثقيلا بالبريد فبحثت عن مفتاح يوافق ذلك القفل فعثرت على مفتاح

كان الصندوق مملوءا بالأوراق المرتبة بدقة رزما رزما اللهم الا بعض الوثائق والصور الفوتوغرافية فأخرجت الأوراق واخترت ظرفا كبيراً كتبت عليه عنوان أبي. وبينما كنت أطلع على الاوراق غير المرتبة رأيت شيئا قررت بسببه

أن أعود إلى أوربا .

كثيراً ما كان أبي يدعوني للذهاب الى أوربا ولو انى لاأظن انه كان يقصد فعلا أن أبرح أمريكا . ولكنى بعد أن رأيت مارأيت قررت الذهاب

فسأل سمث فى هدوء : متى كان ذلك ؟

فقالت الفتاة : منذ سنتين

- وجئت حينئذ الى أوربا

فأحنت رأسها

- وهل عرف ذلك أبوك

- نعم . فى الواقع وافق على مجيئى . وأظن أنه كان مسروراً

بقى سمث يفكر حينا ثم قال :

- إن هذا يوضح أشياء كثيرة . كيف تقضين أيامك

كان جوابها آخر شيء يتوقعه فى العالم

- انى أصنع تماثيل من الشمع . ألم يخبرك أبي بذلك ؟

- تصنعين التماثيل ؟

فأحنت رأسها ثم قالت :

- سأريك تماثيلى

ثم قادته من غرفة الاستقبال الى البهو الكبير ثم الى غرفة صغيرة فى آخر المنزل من الخلف .

كانت الغرفة عبارة عن متحف صغير به منضدة طويلة وعدد قليل من الكراسى وخزانة

صار سمث ينظر الى تلك التماثيل الموضوعة على المنضدة وكانت تماثيل صغيرة جميلة بعضها قد انتهى والبعض الآخر لم ينته فدهش دهشة عظيمة ثم قال :

- انك فنانة يا آنسة ستيفانى . . . يا آنسة فالنتين

فقالت ضاحكة - يحق أن تقول آنسة ستيفانى . انى فنانة أتظن ذلك؟

فقال سمث : بالطبع انى لا أفقه شيئا عن فن التماثيل

فقالت فى شىء من الجفاء : ولكنك تعلم ماتريد أن تعلم يامستر سمث أما الآن فقد خيبت ظنى . لقد ظننت أن رجلا ذا مزاج فني مثلك قد يقول أشياء مبتكرة

لقد كانت فى الواقع تماثيل جميلة . كان بينها تمثال الراعية على الطراز الفرنسى كان من أجمل ماوقعت عينا سمث عليه

- وهل تغرمين بتلوينها بنفسك ؟

فأحنت رأسها . ثم تلفتت فيما حولها وظن سمث أنه رأى سحابة من القلق تخيم على وجهها فنظر الى حيث اتجهت عيناها . لقد كانت تنظر الى خزانة مستندة الى الحائط وقبل أن يقف على سبب قلقها أسرعت الى الخزانة وأغلقت بابها

وأدارت المفتاح بالقفل ثم رفعته ووضعته فى جيبها ثم التفت اليه وقد علت وجهها حمرة الخجل

- أهذا سر شائن من أسرار العائلة ؟

فنظرت اليه فى شك ثم قالت فى ثبات :

نعم . انه سر العائلة الشائن . والآن هيا بنا لنشرب باقى الشاى

لقد كانت مضطربة وسمث يعجب ماذا يوجد فى تلك الخزانة وهى تحاول جهدها اخفاءه . وما الذى أضحكها عند ماأخبرها أنه تتبع المستر روس الى المنزل . انها فتاة غريبة وهو لايستطيع أن يفهمها . وما لايستطيع أن يفهمه عادة يزعجه ثم قالت على غير انتظار بعد سكوت طويل :

سر العائلة الشائن . لهذه العائلة يامستر سمث أسرار كثيرة شائنة

فقال سمث : كذلك الحال فى جميع العائلات

فقالت : ولكننا نحن (مشددة على كلمة نحن) آل بورجيا لدينا من الاسرار الشائنة أكثر من اللازم

فقال سمث : آل بورجيا ماذا تقصدين بقولك آل بورجيا

فقالت فى سخرية وقد استعادت شيئا من مرحها وطلاقة لسانها

- ألا تعرف. لابد أنك تعرف. ألم تسمع قط بآل بورجيا ذوى الشهرة الخالدة. أتفهم لماذا لم يسمنى أبى باسم « لوكريشيا » فقال وهو ينحنى بتؤدة :

- أظن انى أعرف . نعم . أظن انى أعلم السبب

فقالت . ماهو ايضاح ذلك ؟

- ايضاح ذلك هو الصندوق الاسرى الذى وقع بين يديك فى تلك المدينة الصغيرة بنيوجرسى . ذلك الصندوق ومحتوياته .

قامت الفتاة من مقعدها ومدت اليه يدها وقالت .

- أرجو أن تكون مسرورا من الشاى . و أظن أنه يجب أن تذهب الآن .

وجد سمث نفسه فى الشارع قبل أن يفكر فى أنها صرفته بسرعة .



الفصل الحادى عشر

جون ويلاند

فى صباح اليوم الذى جرت فيه الحادثة التى وصفناها فى الفصل السابق فتح أحد السجانين باب احدى غرف سجن سترانجواى وأيقظ جون ويلاند من نوم مضطرب. لم يكن ويلاند معروفا لدى موظفى السجن باسم جون ويلاند غير أن الاسم الذى تنكر به لايهم القراء

قال السجان فى اختصار : الساعة السادسة

قام جون ويلاند وارتدى ثيابه . كان الموعد المحدود لخروج المساجين من سجن سترانجواى هو الساعة التاسعة ولكن دقت ساعة السجن اثنتى عشرة دقة قبل اطلاق سراح المسجونين لملاقاة أصدقائهم الذين كانوا فى انتظارهم

وكانت الساعة الثانية عشرة ونصفا عند ماخرج ويلاند من الباب الصغير واتجه نحو موقف العربات

فأشار أحد المساجين الذين خرجوا ذلك الصباح فأخره

أصدقاؤه الكثيرون عند باب السجن . أشار بيده إلى شبح جون ويلاند وقال لأصدقائه شيئاً لفت نظرهم اليه .

ركب ويلاند احدى العربات العامة وسار الى الجانب الآخر من المدينة . وهناك انتقل إلى عربة سيارة عادت به من طريق آخر . ثم نزل من السيارة وسار على الاقدام نحو ميل ونصف ميل يدخل فى شارع ويخرج إلى آخر كأنه كان يخشى أن بعض الناس يراقبه ويتبعه

ثم وصل الى شارع هادىء واتجه نحو منزل فى جانب منه . لم يكن هناك من يلقاه بتحيه . غير أن ناراً كانت مشتعلة فى المطبخ وقد وضع على المائدة طبق وفنجان .

وضع قدر الماء على النار ثم صعد سلما صغيراً كثير الانحدار فوصل الى غرفة نوم مرتبة ثم خلع ملابسه وارتدى ملابس أخرى كانت معلقة فى خزانة هناك

كان الوجه الذى انعكس على المرآة وجه رجل شاخ قبل الأوان كان كثير الغضون وخط الشيب شعره . فظل الرجل نحو خمس دقائق يحدق النظر بوجهه فى المرآة . ثم تنهد تنهداً عميقاً ونزل السلم . صنع الشاى وصبه فى الفنجان ثم جلس أمام النار وأسند كوعه على ركبته وذقنه على كفه

سمع الباب يفتح فالتفت حين دخلت امرأة تلوح عليها

سمات الرفق الأموى وقد حملت بيدها سلة مملوءة

ثم قالت بلهجة أهل لانكشير :

- صباح الخير أيها السيد . لقد علمت أنك تحضر اليوم ولكني لم أكن أظن أنك تأتي مبكرا هكذا . هل أعددت الشاى ؟ !

فقال ويلاند : نعم . شكرا لك .

لقد كان ويلاند فى منزله .

لم تشر المرأة الى غيابه ولكنها كانت متعودة عليه . كانت تتكلم بغير انقطاع وهى تخرج ما ابتاعته من السلة . واستمرت تتكلم حتى قام ودخل المخدع وأغلق الباب وراءه

قامت المرأة تؤدي عملها الى أن سمعت من المخدع صوت كمنجة خافت فجلست تسمع . كان ويلاند يلعب قطعة محزنة قطعة اندلسية تنتهى بما يشبه النحيب . فهزت المرأة رأسها

ثم خرج ويلاند ثانية . فقالت مدبرة منزله :

- آه . ليتك يامستر ويلاند تلعب قطعة مفرحة ان هذه القطع التى تلعبها تؤثر فى أعصابي

فقال ويلاند فى ابتسام ضئيل :

- ولكنها تهدىء أعصابي أنا .

قالت : انك تحسن اللعب على الكمان وأنا أحب سماع نغماتها .

فهل سبق لك أن لعبت أمام الجمهور يامستر ويلاند
فأحنى المستر ويلاند رأسه وهو يتناول قصبة (غليونا) وعلأها من كيس قديم للتبغ . ثم أشعلها
فقالت السيدة بك (مديرة المنزل) فى انتصار
- لقد ظننت ذلك . وكنت أقول لزوجى هذا الصباح ...
فقال الرجل فى سكون :
- أرجو ألا تكونى قد أخبرت زوجك بأشياء كثيرة عنى ياسيدة بك
- كلا لم أقل شيئا كثيراً اننى دائما حريصة ولقد أخبرت شابا جاء هنا أمس ....
فرفع ويلاند القصبة من فمه وتلفت حوله عابس الوجه مقطبا ثم قال :
- أى شاب جاء هنا أمس؟ !
- لقد جاء يسأل عما إذا كنت بالمنزل
- عما إذا كنت بالمنزل ؟ وهل ذكر اسمى
- نعم لقد ذكر اسمك وكل شىء وهذا مالفت نظرى . لأن هذه هى المرة الاولى التى يحضر فيها بعض الناس ويسأل عنك باسمك
- وماذا قلت له

- لقد قلت له أنك قد تعود غداً أو الاسبوع المقبل. لقد أخبرته أن أوقاتك غير منتظمة يامستر ويلاند وانك قد تغيب أشهراً كاملة .....

ضغط ويلاند شفتيه بعضهما على بعض. لقد عرف أنه من العبث أن يلوم المرأة . ومع ذلك قد يكون الرجل أحد جباة الضرائب أو أحد الذين يبيعون صوراً لاقيمة لهـا طلبا للاحسان . ففي الواقع كانت هذه الشوارع التي يقطنها الفقراء هي التي تجود على المستجدين. أو قد يكون القسيس هو الذي جاء يحاول التعرف به مرة أخرى . فهو قد حاول مراراً كثيرة أن يتعرف به فلم يقبل ويلاند

فقال : لابأس ياسيدة بك . غاية ما في الأمر انني لا أحب أن يتكلم الناس عن عملي اذا سمحت

فقالت السيدة مبتسمة :

- انني لا أتكلم قط عن مهنتك أو عملك. على كل حال. لست أعرف شيئاً عن عملك فلا يهمني كيف تقضي وقتك . فقد تكون لصا أو من رجال البوليس لانك تتغيب كثيرا من المنزل .

لم يجب ويلاند بكلمة. غير انه حين انتهى عمل المرأة ذلك اليوم ووضعت معدات الشاي على المائدة ثم عادت الى منزلها

عاد يفكر فى ذلك الشاب الذى قدم لزيارته . ثم قام فوضع السلسلة وراء الباب معتزما ألا يجيب من يقرع الباب كائنا من كان

لم يأت أحد حتى خيم الليل . كان جالسا فى مخدعه وقد أسدل الستائر وأخذ يقرأ على ضوء مصباح فسمع طرقا عنيفا على الباب فوضع الكتاب وأصغى . وعاد القرع . وكان الباب قريبا لأن المنزل كان صغيرا فقام وسار فى الدهليز الضيق . ثم عاد الطرق وكأن الذى يطرق الباب يفعل ذلك برأس عصاه

فقال ويلاند : من يطرق الباب؟

فقال صوت قد حاول صاحبه تغييره :

- اسمح لى بالدخول يا ويلاند . أريد أن أقابلك

- من أنت ؟

- اسمح لى بالدخول .

عرف جون ويلاند الصوت فامتقع وجهه حتى حاكى وجوه الاموات . واعتراه دوار شديد حتى لجأ الى الحائط يستند عليها . بعد قليل سكنت ثائرة أعصابه غير ان يديه كانتا ترتجفان عندما رفع السلسلة وفتح الباب .

كان الليل مظلما لان القمر لم يكن قد طلع بعد فلم ير

ويلاند سوى شبح الرجل الطويل القامة وهو واقف فى الخارج فقال :

- أدخل . وكان قد تمالك شعوره وصوته

فقال الزائر - أتعرف من أنا ؟

فقال ويلاند متمهلا كأن كل كلمة تحتاج لمجهود :

- نعم أعرف . فأنت سيزار فالنتين .

ثم قاده الى المخدع وهكذا وقف كل منهما تجاه الآخر مدة قصيرة وبينهما منضدة صغيرة مستديرة وضع عليها مصباح مشتعل

وكان سيزار يفوق عدوه طولا وقوة وكان ويلاند يراقبه بعينين يكاد الشرر ينبعث منهما

كان ويلاند أول من تكلم فقال :

- ماذا تريد ؟

فقال سيزار فى برود أريد أن أتكلم معك فى أمر هام.

فقال ويلاند وهو يتنفس فى صعوبة - أين زوجتى ؟

فقال الآخر وهو يهز كتفيه

- لقد ماتت زوجتك . وأنت تعلم ذلك

- وأين ابنتى ؟

فهز سيزار كتفيه مرة أخرى ثم قال :

- لماذا تفتح موضوعا مؤلما لك كما هو مؤلم لي .

وكانت لهجته تدل على الشكوى كأنه هو الذي أوذي.

ثم جلس بغير أن يدعوه ويلاند للجلوس ثم قال :

- اسمع ياويلاند . يجب أن تعود الى صوابك . لقد مات الماضي فلماذا تزكي نيران كراهتك وحقدك؟

فقال الآخر - ان هذه الكراهة وذلك الحقد يكتنفني من جميع النواحي. وهو الحلقة التي تربطني بالحياة وسيبقيني حيا الى أن أقتلك بهاتين اليدين .

ثم مد يديه المرتجفتين .

فضحك سيزار وهو يقول ساخراً :

- كم هو محزن ! ستقتلني . حسن . ها أنذا . اقتل ياصديقي . أليس لديك مسدس أو خنجر ؟ هل أنت خائف ؟ أنك تتهددني بالقتل . وبقيت تهددني بذلك كل هذا الزمن الطويل . فها هي ذي الفرصة تواتيك فلماذا لا تنتهزها ؟

ثم أخرج من جيبه شيئا لامعاً وضعه على المنضدة أمام الرجل . لقد كان مسدسا من الفضة . ثم قال :

- خذ هذا واضرب . وأنا الضمين لك بأن الرصاصة التي به كافية للقتل

نظر ويلاند من الرجل الى المسدس ومن المسدس الى

الرجل ثم هز رأسه وقال :

- كلا . ليس على هـذه الطريقة . ستموت متى آن الأوان وستقاسى أكبر مما قاسيت

ثم عاد السكون وبعده قال ويلاندوكأنه يخاطب نفسه :

- يسرني انى رأيتك . انك لم تتغير . أنك كما كنت . أنظر الى (ثم رفع يديه) لابد انك سعيد ياقالنتين . فأنت طوال حياتك تحصل على كل ماتريد . أما أنا فقد أضعت. آه يالهى ! ماذا أضعت ؟

ثم غطى وجهه بيديه وسيزار يراقبه فى غرابة ثم تناول المسدس وأعاده الى جيبه ثم قال ساخراً

- سأموت متى آن الأوان . أليس كذلك ؟ ومتى يكون ذلك الأوان ياترى . لقد أعطيتك الفرصة . ألم أطلب منك أن تطلقها ؟

فقال الآخر متأوها : أن أطلقها

- كانت حينئذ تستطيع أن تتزوج ثانية وتصير سعيدة . والآن يامستر ويلاند . ألا تعود الى صوابك ؟

فقال ويلاند فى ثبات :

- هل قلت كل ماتريد أن تقول . ان كنت انتهيت فانك تستطيع أن تذهب . أقول انى سررت لأنى رأيتك .

فرؤيتك قد أحيت في نفسي كل الآمال التي كادت تتلاشى من قلبي لقد ذقت نار الجحيم بسببك ياسيزار . ولقد قاسيت مالا يخطر لك ببال . على أمل أنني يوما ما . يوما ما

ثم انحني . وعلى الرغم مما كان عليه سيزار من الهدوء وضبط النفس فانه أحس بالبرد يتمشى في سلسلته الفقرية

غضب سيزار لأن مخلوقا ما استطاع أن يجعل الخوف يدب الى قلبه ثم قال :

ـ لقد كانت لديك الفرصة ياويلاند . فإن كنت لم تنتهزها فهذا من خطئك . وها أنا ذا قد جئت لأضع الأمر واضحا أمامك . أنا أعتقد انك موظف بالحكومة وأعتقد لعدة أسباب لدي أنك مكلف بالتجسس علي ، غير أني أخبرك الآن أن الرجل الذي يستطيع أن يوقع سيزار فالنتين في الشرك لم يخلق بعد .

ثم ضرب المائدة بقبضته حتى كاد المصباح يسقط

ـ لقد بلغ من حماقتي انني تركتك وشأنك ولم يخطر ببالي مرة أن أحاول اجبارك مع انه كان في استطاعتي لو انني أقدمت . بل تركت لك الحرية في أن تطلق سراح زوجتك بطلاقها

ثم وثب الى الجانب الآخر من المنضدة حتى صار بجانب

الرجل الذى اعتدى عليه . ثم بغير سابقة انذار مد يديه فجأة فقبض على عنق ويلاند . كان ويلاند قويا ولكن قوة سيزار كانت غير عادية . ثم دفع بالرجل الى الكرسى الذى خلفه ثم أوقعه على الارض ولم يخفف الضغط عن عنقه . جاهد ويلاند مااستطاع ليتخلص من قبضته ولكن ذهبت جهوده عبثا . كان سيزار قد وضع ركبته فوق ذراعيه وكانت يداه تشددان الضغط على عنقه كالملزمة ثم قال :

- سيجدونك غدا مشنوقا

دق حينئذ الباب فالتفت الى الخلف . ثم عاد الطرق وسمع صوت امرأة تقول :

- هل انت مستيقظ يامستر ويلاند . انني أرى الضوء . أنا السيدة بلك !!

أخلى سيزار قبضته وخرج فى هدوء من الغرفة بينما كان ويلاند يجاهد فى سبيل الوصول الى كرسى وقد انحبس صوته وكاد يغمى عليه فلم يستطع القيام بحركة أخرى

عاد الرجل الضخم الى الغرفة واطفأ المصباح ثم رجع وفتح الباب

فقالت المرأة : فى الظلام . انى أكاد اقسم انى رأيت النور

تركها سيزار تدخل ثم وثب خارجا من الباب وأغلقه خلفه

الفصل الثانى عشر

المستر روس الخفى

قال المستر تربه بون سمث موجها خطابه الى سيزار .

ـ يخيل لمن يراك أنك قد صرفت ليلة سيئة ياصديقى

فقال سيزار دون وعى : ليلة سيئة ؟ آه . نعم . لم أعد الى المدينة الا فى وقت متأخر من الليل

وهل رأيت المستر ويلاند ؟

فلم يجب سيزار

ـ أظن أنك قابلته وأن الحـادثة لم تسرك فلا تحب التفكير فيها

فأحنى سيزار رأسه موافقة . ثم قال بعد مدة

ـ لست أدرى ماذا ينوى ويلاند أن يفعل . لو أسعف الحظ لوقفت على نياته . ولـكن حدث ماقطع علينا الحديث

فنظر اليه سمث فى حدة وقال :

يلوح أن هناك قصة هامة . فهل تسمح بأن تروى لى

ماحدث عند مقابلتك للمستر ويلاند هذا

فقال سيزار في تفكير :

ـ كان يجب أن أرسلك أنت : لاننا . نحن آل بورجيا فينا نقطة ضعف وهي ميلنا الى ماهو تمثيلي . أما أنت فأظن أنك ما كنت تخطيء .

ثم قص عليه ماوقع فقال سمث

ـ عجبا . أترضى وأنت الرجل الفني في القتل أن تعرض نفسك لان يقبض عليك لاعتدائك اعتداء شائنا على بعض الناس معتزما احداث ضرر جسماني بليغ . اذا جاز لي استعمال ألفاظ الاتهام الرنانة .

هز سيزار رأسه ثم قال :

كلا . فهو لن يبلغ الحادث الى البوليس . ان الرجل شديد العناد وهو مقتنع في ذهنه أنه سيقتلني يوما ما . ولا يمكن أن يرضيه شيء سوى قتلي .

قال سمث : لئن قتلك خير من أن يقتلني فعليك أن تكون حريصا يامستر سيزار فالتين . فأنت لاتستطيع أن تلعب هذه الألاعيب في انجلترا وتنجو . فان كان ويلاند هذا هو رقم ٦ فلن تخلص من يده قبل أن يذيقك عذاب نار الجحيم

فقال سيزار : ان ويلاند هو رقم ٦ بغير شك . لقد بحث رجالى فوجدوا أنه يقضي وقته فى التنقل السريع فى أنحاء البلاد . وقد يغيب عن الانظار ردحا طويلا من الزمن وفضلا عن ذلك - وهذا أمر كبير الأهمية - فانه رؤى مؤخراً يزور السجون

فقال سمث - يزور السجون ؟ للاقامة بها ؟

غير أن سيزار لم يكن فى حالة تسمح بالمزاح فقال :

- لقد أخبرتك بأنه قد بلغني ما حصل فى دائرة بوليس سكوتلند يارد ففى الواقع لما كان هالت رئيس قسم المباحث الجنائية يعطى تعليماته لرقم ٦ الخفى كان أحد رجالى مندساً فى المكتبة وهى الغرفة المجاورة لمكتب المستر هالت وكان هذا الرجل قد فتح ثقبا فى الحائط كان يخفيه عن النظر رف الكتب بغرفة الرئيس وأحد رفوف الكتب التى فى المكتبة . فكان الرجل اذا أزال كتابا ودفع كتابا آخر الى جانب استطاع أن يسمع كل ما يدور من الحديث .

فأحنى سمث رأسه ثم قال .

- هذه اذن هى الوسيلة التى حصلت بها على هذه المعلومات لاشك أن رجلك كان ماهرا . ولكن ماهى علاقة السجون بالمسألة ؟!

فقال سنزار ـ هذه تعليمات ووصايا هالت فقد أخبر ذلك الرجل أو تلك المرأة أن له أو لها الحق فى دخول المسجون فى أي وقت لقد كان يظن ان لى أصدقاء أو شركاء قد صدرت عليهم أحكام بالسجن يقضون مددها

فقال سمث ـ يالها من فكرة سخيفة . فأنت لا تسمح أن يكون لك شركاء من المترددين على السجون

فقال سنزار . نعم لى شركاء من هذا النوع أنت مثلا .

فضحك سمث ضحكا طويلا ثم قال :

ـ انني لم أذهب قط الى السجن .. حتى هذه الساعة .

وبعد قليل قال ـ اذن أنت تظن أن ويلاند هو رقم ٦ لانك راقبته فوجدته يزور السجون .

قال سنزار ـ ألا ترى أن مثل هذا الرجل جدير بالقيام بهذا العمل . ألم يقل هالت أن الرجل الذى عينه من الهواة وليس من الرجال الرسميين أن جميع الادلة تشير الى ويلاند

ثم شرع يسير فى الغرفة ذهابا وجيئة وهو شديد الاضطراب .

كان سمث قد جاء الى المنزل رقم ٤٠٩ بميدان بورتلند قبيل وقت الافطار ليلتقى الفتاة وليس للحديث مع سنزار

قال سمث وأين ويلاند الآن ؟

قال الآخر - فى لانكاشير على ما أظن ..

ثم انقطع عن الكلام فجأة كأنه صعق . ثم نظر الى قطعة النشاف التى توضع عادة على المكتب ثم قال :

- لم يقع نظرى على هذا من قبل .

قال سمث - ماذا ؟

تناول سبزار الخطاب المغلق الذى كان على مكتبه . لقد كان مختوما ومكتوبا عليه العنوان كالخطاب الذى وجده تحت قدميه فى بستان جرين بارك . ففتحه وقرأ الرسالة المكتوبة بالآلة الكاتبة بصوت مرتفع

« ياسبزار . لست من الخالدين . تذكر - رقم ٦

فنظر الى الورقة واجما ثم تهالك على كرسيه

فقال سمث فى نفسه - أظن أن سبزارنا المعظم خائف

***

تحت نبوءة سبزار فويلاند لم يبلغ البوليس شيئا مع أن سمث ظل عدة أيام فى حالة من القلق الشديد جعلته يفقد أثر المليونير الذى هو مكلف بمراقبة حركاته وسكناته مرتين

حدث فى غضون ذلك أمران أزعجاه وأقضا مضجعه . الأول هو غياب ستيفانى عن المدينة وقد قال سبزار عرضا انها قد ذهبت الى سكوتلندا لتمضية يومين وظهر عليه انه

مرتاح لغيابها . والامر الثاني هو المستر روس بقي حبيس غرفته لايبرحها . وهذا الامر الثاني لم يزعج سمث كثيرا غير انه ظن ان الامر غريب

وفي مساء اليوم الثاني زاد سر المستر روس غموضا وابهاما . فقد أحس سمث وهو يتناول طعام المساء أنه ميال للنوم على غير العادة فصعد الى غرفته ليرقد . وبينما كان راقدا في فراشه وقد أخذ النوم يداعب أجفانه سمع باب غرفته يفتح ثم دخل شخص ما وبقي مترددا رقنا قصيرا ثم أضاء النور غير أنه اطفأه بسرعة مدهشة ومع ذلك استطاع سمث في هذه اللحظة القصيرة التي أضاء فيها النور أن يلمح المستر روس العجوز مرتديا معطف غرفة النوم

ثم سمع دبيب أقدام مسرعة وباب غرفة المستر روس يغلق بهدة ودار المفتاح في القفل

لقد كان ذلك في ذاته مما يلفت النظر . كيف لا والرجل الذي هو مكلف بمراقبته يراقبه ويتجسس عليه ثم ينتهز فرصة غيابه عن غرفته على ما كان يظن ويدخلها . أليس هذا مما يحير ؟! لقد كان سمث في منتهى اليقظة حينئذ . فسار في الدهليز الى آخره وهو يفحص الابواب . وكان لايدري بأى عذر يستطيع أن يطرق باب جاره ويحادثه .

وأخيرا بعد شيء من التفكير عدل من ذلك. ونزل الى بهو الفندق . وهناك تلقى صدمة لم يقع له مثلها فى حياته. فقد رأى المستر روس واقفا أمام مكتب كاتب الفندق وهو يرتدى معطفا ثقيلا وقبعة من القماش جعلت هيئته اشد غرابة

نظر سمث الى الرجل وهو يسير وقدماه تخفان فى الارض ثم يدخل الى المصعد فلا يلبث أن يحمله الى الطابق الذى يقيم فيه

فقال سمث للكاتب : من أين أتى المستر روس ؟

فقال الكاتب وهو يهز رأسه .

ـ لست أدرى ياسيدى . لقد ظننت أنه فى غرفته. فهو لم يبرحها ولم أره يمر من مدخل الفندق

عجب سمث لذلك . وبينما كان متردداً فى البهو لايدرى ماذا يفعل واذا بخادم صغير اقترب منه وطلب منه أن يصعد الى غرفة المستر روس . فكانت دهشته أعجب وأمره أغرب

تبع تريه بون سمث ذلك الرسول الصغير . ثم دخل الى الغرفة فوجد المستر روس ينتظره وهو يرتدى معطف غرفة النوم الذى رآه يرتديه عند مادخل فى غرفة سمث

قال الرجل : على يامستر سمث أن أعتذر اليك ألا تجلس

فأطاع سمث وجلس : أما الرجل فاستمر يقول :

أخشى أن أكون قد أغضبتك غير عامد لأنه قد اعتراني شيء من القلق مؤخرا جعلني أطوف في الفندق على غير هدى وقد أخطأت فدخلت غرفتك منذ نحو نصف ساعة

فقال سمث : نعم ثم أخطأت فدخلت الى بهو الفندق وقد ارتديت ملابسك في الطريق

فانفرجت أسارير وجه الرجل العبوس عن ابتسامة ثم قال . انك شديد الملاحظة يامستر سمث وتصلح لأن تكون بوليسا سريا ماهرا

هل كان يهزأ به . لقد زعم سمث ذلك . وكان يعجب لماذا أرسل الشيخ في طلبه . ولكنه سمع صوت وقع أقدام بخفة على الطنفسة الموضوعة خارج الباب فزال عجبه

لاشك أن الشيخ قد دعاه الى غرفة نومه ليتمكن بديله الذي يمثله وهو غائب من الهروب من غرفة الجلوس

الفصل الثالث عشر

مشروع زواج

يروى عن كبار المجرمين : أن قد تأتي عليهم أوقات يعاودهم فيها الندم والذكريات متى تزاحمت أشباح ضحاياهم أمام نواظرهم فى غدوهم ورواحهم الى أن تصل بهم الى حد الجنون .

ان المدى الذى بلغه سيزار فالنتين من الاجرام والاثم لم يعرفه أحد وقد لا يقف على سره أحد الى يوم القيامه . ولكن من المؤكد أنه لو كان ممن اعتادوا ذكر الماضى . أو لو كان يسمح لنفسه بالتفكير فى الماضى لكان لديه من الذكريات ماهو كاف . بل ماهو فوق الكفاية لينقض ظهره ويقض مضجعه فيبيت بليلة الملسوع

ولكن فى الحقيقة كان سيزار ممن لا يأسفون على مافات ولم يظهر لكل من عرفه شيئا من الندم .

لما جاء تربه بون سمث إلى ميدان بورتلند وجد أن لسيزار نفسه هوية يمارسها . اذ لما دخل سمث الى غرفة المكتبة وجـد سيزار يصقل شيئا بكل ماأوتي من قوة . وكان أمامه قالبان من المرمر وفي أحدهما شيء مستدير أسود كان سيزار يطليه من حين لآخر بطلاء أصفر بلون العنبر

فقال سمث : ماهذا بالله

فقال سيزار بغير أن يلتفت : ماذا يشبه؟

- انه أشبه الاشياء (بالزرار)

فقال سيزار : وهو في الواقع زرار . انك لم تظن أنني أصنع الأزرار

ففحصه سمث عن كثب فوجد أن سيزار قد قال الحقيقة لقد كان (زراراً) من ذلك النوع العادي الذي يشبه العظم ولما رفعه سيزار من القالب وقلبه مراراً بيده في كثير من الاعجاب وضعه على قطعة من الورق ثم وضع هـذه القطعة من الورق على حاجز المدفأة . ثم قال في غير عناية :

- عمل جديد قد يكون من ورائه كسب مال كثير

فقال سمث : يالك من شيطان مريد . انني لاأستطيع أن أفهمك .

فابتسم سيزار وشرع يجمع القوالب والادوات الاخرى

التى كان يستعملها ثم وضعها جميعا فى أحد أدراج مكتبه ثم قال

- انى أعرف شخصا لايستطيع أن يفهمك

- ومن هو ؟

هو رجل فى وجهه شىء من الصلابة يسمى ستيل . وأظن أنه أحد رجال البوليس السرى فى سكوتلنديارد . انه يراقبك وأظن أنك تعرف ذلك

فقال سمث : لم أكن أعرف ذلك

فضحك سيزار حين رأى مااعتراه من الاضطراب . ثم قال

- اذا دخلت غرفة الاستقبال وأطللت من النافذة رأيته واقفا فى الناحية الاخرى من الشارع

فخرج سمث من الغرفة ثم عاد بعد قليل وقال

- لقد أصبت . أظن أن هذا هو ستيل . انى لست أعرفه

فقال سيزار وهو يصرف الشرطى باشارة من يده

- هون عليك ياسمث . سأقدم لك اقتراحا

- هذا حسن . هل وراءه نقود

فأحنى سيزار رأسه وقال :

- نعم وراءه كثير من المال لك ولى : أريد أن تتزوج من ستيفانى .

هذا هو السبب فى أني ضممتك الى أتباعي . فلا يخطرن ببالك انني قد استأجرت سفاكا للدماء ليفض لي مشاكلي .

بقي سمث ساكتا لا ينطق بشيء

قال سيزار : لقد راقبتك زمنا طويلا فى باريس فوجدت أنك الرجل الذى ظللت فى حاجة اليه نحو سنة . انك متعلم وقد كنت يوما ما رجلا مهذبا (جنتلمان) . وأنت على خلق مقبول . ومن غريب الامر انى رأيت ستيفاني تتكلم عنك بروح الاعجاب

فقال سمث وفى شيء من الجفاء : تزوج لها ؟

فهز الآخر رأسه وقال :

- لم أتكلم معها عنك من هذه الوجهة

دق قلب سمث دقاً عنيفا سريعا . كان عليه أن يبذل قصارى جهده ليبقي وجهه على هدوئه لا تظهر عليه علامات مايجول بذهنه . يتزوج ستيفاني ؟ هذا أمر لا يمكن تصديقه وهو من بعض الوجوه أمر مريع

قال سيزار : لا أظن انك متزوج من قبل

فهز سمث رأسه

وقال سيزار : لو كنت متزوجاً لارتبكت الامور وتعقدت ولكن الامر فى غاية السهولة مادامت الحال على

ماهي عليه الآن .

ثم فتح درجا أخرج منه ورقة وسلمها للآخر

- سترى ان هذا اتفاق بيني وبينك على انه اذا ورثت زوجتك ثروة ما ، فعليك أن تدفع لي نصف نصيبك

عاني سمث مشقة كبيرة ليبقي صوته هادئاً ثابتا ثم قال :

- واذا رفضت زو . . زوجتي ؟

- سيسوى هذا الأمر قبل الزواج . فهي ستوقع على وثيقة تتعهد فيها بأن تدفع لك ثلاثة أرباع ميراثها

فضحك سمث ضحكة مغتصبة ثم قال :

- انك تفرض فروضا كثيرة وتسلم بصحتها

فقال سيزار : ستقبل ستيفاني .

ثم ضغط زراً كهربائيا على المنضدة فدخل خادم فقال:

- قل للآنسة فالنتين تأتي إلى المكتبة

فقال سمث مضطربا بعد ذهاب الرجل :

- ماذا تريد أن تفعل . أرجو ألا تطلب ذلك اليها الآن

قال سيزار : انتظر

- ولكن . . . .

قلت لك انتظر

جاءت الفتاة وانحنت نحو سمث ثم نظرت الى أبيهـا

نظرة المستفهم

فقال فالنتين : انني ياستيفاني قد قررت الآن مصيرك

لم تجب الفتاة بكلمة واحدة غير أن عينيها لم تفارقا وجهه

قال سيزار وهو يسند ظهره على ظهر كرسيه ويشبك أصابعه :

- لقد قررت أن تتزوجي صديقي المستر سمث

انفتح فم الفتاة وخرجت منه كلمة الدهشة (أوه) ثم حولت نظرها من سيزار الى الشاب المرتبك الذي كان يقلب قبعته في يده . لقد توقع سمث أن يراها ثائرة محتجة . وربما توقع أن يراها باكية . على كل حال لم يتوقع ما حدث فعلا بعد ذلك . لقد امتقع وجه الفتاة . لقد دهشت ولكن لم ترتعد اشمئزازا . ثم قالت في خضوع

- نعم يا أبتي .

أريد أن يحتفل بزواجكما الاسبوع المقبل .

وسأخصص لك مرتبا كبيرا وسترثين عند وفاتي مقدارا عظيما من العقار .

- نعم يا ابتي .

- أريد منك أن توقعي على اتفاق بينك وبين زوجك في المستقبل ...

وقف سمث على قدم واحدة منزعجا خجلا

ان يخصص له ثلاثة أرباع ماترثينه مني أو من سواى

نظرت الفتاة الى سمث نظرة فاحصة لم يقو على مقاومتها

ثم قالت : هل المستر سمث راض

فقال الأب : كل الرضى . هل أنت قادمة ياستيفانى .

فاحنت الفتاة رأسها ثم قالت :

ـ أهذا كل ماتريد؟

فقال سيزار : « نعم » ثم صرفها بابتسامة رقيقة

جلس سمث مسحورا لايقوى على الكلام فنظر اليه سيزار نظرة غريبة وقد لاحت على وجهه ابتسامة رجل خال من الشعور.

ثم قال : يظهر ياسمث أنك دهش

فبلل سمث شفتيه الجافتين بلسانه ثم قال :

ـ أتعرف ماذا فعلت ؟

فقال سيزار فى برود : أظن ذلك . فقد أعطيتك زوجة بارعة الحسن .

لقد خطبت ابنتك لرجل . . . مثلى

وكان فى لهجته ماحمل سيزار على أن يفحصه بدقة ثم قال:

ـ ماذا جرى . ألك ضمير يعذبك ؟

فقال سمث وهو يهز رأسه :

- لم يعذبني ضميري . . . كثيرا . ولكي أريح بالك أخبرك انى لست معتزما أن أغير مجرى حياتى . لا . ان الذى يحيرنى هو عقليتك الغريبة

فقال سيزار : أؤكد لك أنها عقلية عادية

ثم حدث صوت كصوت سقوط قطعة معدنية كان بقرب المدفأة، صندوق صغير مصقول من الخشب به فتحتان فسقط قرص صغير وراء إحدى الفتحتين

فقال سمث : ماهذا ؟

فابتسم سيزار وقال : هذا هو جاسوسى . فى هذا المنزل ثلاثة خطوط تليفونية وقد أمرت بتركيب هذا لكى أعرف إن كان هناك من يسمع محادثاتي . وسقوط هذا القرص يدل على أن أحد التليفونات مستعمل الآن وقد رفعت سماعته

ثم جذب تليفونه نحوه ورفع السماعة فى رفق ووضعها على أذنه . ثم قال وهو يضغط الآلة باليد الاخرى :

- انه من المفيد أحيانا أن يسمع الانسان مايقوله الخدم

أخذ سمث يرقبه فرأى وجهه يتصلب . لم ينطق سيزار بكلمة بل جلس بغير حراك الى أن اختفى القرص الاحمر . فاعاد السماعة الى مكانها ووقف . ان ماسمعه كان مهيجا

للاعصاب فوق العادة . ورأى سمث مستاجره مضطربا مرة أخرى . ثم قال لجاه :

- تعال معى

ثم سار خارجا من الغرفة ووراءه سمث ثم صعد السلم الى الطابق الثاني . ثم وقف أمام أحد الابواب وأشار الى سمث ثم دخل الى الغرفة . لقد كانت على مايظهر غرفة ستيفاني الخاصة . ولقد عرف سمث ذلك من منظر رياشها وزينتها قبل أن يرى الفتاة التى وقفت بمجرد رؤية سيزار يدخل كأنها شعرت بما قد يحصل

كان وجه سيزار متصلبا . فقالت الفتاة :

- هل أنت فى حاجة الى ياأبي

فقال فى خشونة : مع من كنت تتحادثين بالتليفون

فقالت (وقد لاحظ سمث اضطرابها وخوفها) : أتكلم بالتليفون ؟ - مع احدى صديقاتي

فقال : هذا كذب . لقد كنت تحادثين روس . فمتى قابلت روس .

ولما بقيت الفتاة لاتنبس ببنت شفة قال :

- لقد كنت تنبئينه عن مشروعى الخاص بزواجك من سمث وكنت تضربين موعداً لمقابلته عصر هذا اليوم

لم تنطق الفتاة بكلمة .

- متى قابلت روس ... ما هي الظروف التي هيأت لكما المقابلة . أجيبي على أسئلتي

ثم قبض على عاتقها (وقد تبعه سمث) ثم قال « أجيبي » وأخذ يهزها بعنف

فأمسك سمث بذراعه وجره بلطف . فقال سيزار :

- لعنة الله عليك . لا تتدخل . سأحصل على الحقيقة من فم هذه الفتاة ... ماذا قلت لروس . وحق السماء انني قاتلك ان لم تجيبي

استمدت نظرة الفتاة وقد ظهر فيها الرجاء والتوسل من سيزار الى سمث فشدد الاخير قبضته على ذراعه ثم قال :

- لا فائدة لك من الاعتداء عليها

فقال سيزار في وحشيه : اتركني

غير أن القبضة كانت شديدة فترك الفتاة ولكنه لم يبعد يده من أسرها . ثم قال لها :

- تعالي الى هنا ... الى فوق

فأطاعت . وتبعها الرجلان . وكان في الطابق الاعلى غرفة تطل على الجانب الخلفي من المنزل فوضع سيزار الفتاة فيها

ثم قال : ستبقين فى هذه الغرفة الى أن تتعلمى الكلام

ثم أغلق الباب وأدار المفتاح فى القفل وخلعه ووضعه فى جيبه

- ستبقى هنا ياسمث الى أن أعود . سأسوى الامر مع هذه السيدة

فقال سمث فى استياء : لست سجانا

فقال الآخر : يالك من أحمق . ألا تعلم أيها المجنون انك تضع حياتك فى قبضة هذه الفتاة . ان كانت هذه الفتاة على اتصال بروس وان كانت قد أبلغته أشياء تعلمها . ان كانت مطلعة على أمرنا . لا أدرى ان كانت تعلم شيئا . يا الهى . ويلاه ان كانت تعلم شيئا

ثم وقف يقضم أظافره بأسنانه وينظر فى حنق الى الباب المغلق

ثم قال : انتظر هنا الى أن أعود بعد نصف ساعة

ثم عاد قبل أن يمضى هذا الزمن وقد امتقع وجهه من شدة الغيظ ثم أخذ يصعد السلم اثنتين اثنتين . وكان سمث واقفا بقرب الغرفة وبين شفتيه لفيفة تبغ مدلاة من فمه وقد وضع يديه داخل جيوب سراويله

ثم قال سيزار بأنفاس متقطعة :

- لقد غدرت بي هذه الفتاة وأذاعت أمرى لروس .

أنها تعرف . لعنة الله عليها . انها تعرف

فقال سمث : تعرف ماذا ؟

فقال الآخر : تعرف أنها ابنة ويلاند . أيها الاحمق .

ألم يخطر ذلك ببالك

لم يقل سمث شيئا واستطرد سيزار يقول :

- ابنة ويلاند ووارثة ملايين روس . ليس من الضرورى

أن تعيش هذه الفتاة . ليس من الضرورى لى . هل تفهم

ياسمث . كيف استطاعت هذه الفتاة أن تحافظ على هذا

السر . ومما يدهشنى أنها قد وقفت على هذا الامر وعلمت

أنها ابنة ويلاند . لقد كان فى الامكان أن نصير أغنياء .

ولا يزال لنا الامل أن نكون من الاغنياء . انك مشترك

معى وغارق معى فى هذا الامر الى القرار . خيانتنا نحن

الاثنين معرضة للخطر

ثم تبادل الرجلان النظر . ثم قال سمث وقد عادت خشونته

- حسنا . ماهى مأموريتى . هل أحز عنقها . إنك ان

أمرتنى بذلك فلن أطيع .

خف غضب سيزار وقال في لهجة أكثر هدوءاً

ـ لا حاجة إلى أن تفعل شيئاً من هذا . ولكنك ستساعدني فيما بعد .

ثم تناول من جيبه مفتاحاً ووضعه في القفل ثم أخرج صندوقاً صغيراً من العصا من جيب صديريته وقال

ـ انظر هنا

فقال سمث : ماذا تبغي أن تفعل

فلاحت ابتسامة على وجه سيزار . ثم فتح الباب ودخل . حدث سكون قصير المدى . ثم سمعت الفنان من داخل الغرفة

ـ لقد ذهبت

فقال سمث في دهشة : ذهبت ؟ ذهبت ؟

ثم دخل الغرفة فوجدها خالية . كانت النوافذ مغلقة ولم يكن هناك باب آخر ولكن الفتاة كانت قد اختفت

ـ انظر . انظر . انظر .

ان سمث يستطيع أن يقسم انه سمع أسنان سيزار تصطك وهو يشير بأصابعه المرتجفة إلى أحد جدران الغرفة

كان هناك ظرف معلق من طرفه المصمغ ومكتوب عليه بالقلم الرصاص هذه الكلمات الخمس

« سبزار . است من الخالدين . » - ٦

***

وفى صباح اليوم التالى كان سبزار قد برح لندن بعد أن ترك مذكرة مختصرة لشريكه سمث أصدر فيها أمرا مشدداً بأن يقيم فى المنزل رقم ٤٠٠ بميدان بورتلند إلى أن يعود . وهذه كانت دعوة قبلها سمث بغير تردد .

كانت أشد مساوىء سمث آرثر . فسحب الاستطلاع ولذا أسرع الى المنزل بميدان بورتلند وأقام فى نفس الغرفة التى يقيم فيها سبزار نفسه

وقد أثر بعض التأثير فى راحته أن سبزار كان قد سرح ذلك الجيش من الخدم الذى كان يدير شئون البيت قبل سفره . وقد أظهر سمث عطفه الشديد على رئيس الخدم المستاء . وجعل أحد الخدم يعتقد أن سمث صديق وفى لمدى الحياة

قال رئيس الخدم : لم يبق فى بهذا المنزل سوى الآنسة . ان المستر فانتين ليس السيد الذى أحب أن أخدمه . فهو يوما هنا ويوما هناك وقد تمضى بضعة أشهر لا يدخل هذا المنزل الا بعض الناس الذين تكتنفهم الشبهات ... أرجوك

صفحا .

فقال سمث : استمر فى كلامك فأنا أسلم بما فى قولك من الحقائق

- أما الآنسة فانها ملاك طاهر . سيدة بكل ما فى الكلمة من معنى وهى مدهشة فى صناعة التماثيل

فأحنى سمث رأسه وقال : هذا صحيح

- انها تصنع التماثيل من الشمع . ولقد صنعت لى تمثالا يشبهني تمام الشبه حتى ليكاد ينطق . وقد قالت زوجتى انها لا تميزني من التمثال . وهى لا تحتاج إلا الى أن ترى الشخص مرة أو مرتين ثم تصنع تمثالا له . ماذا تسمى ذلك التمثال الذى يبين الرأس والكتفين فقط

فقال سمث : هذا يسمى تمثال نصفى

- نعم هذه هى الكلمة

تخلص سمث من هذا الشيخ الثرثار لأنه كان فى شغف ليفحص غرفة عمل الفتاة وبالأخص تلك الخزانة التى أغلقتها ذلك اليوم .

كان سمث قد كون رأيا فيما يمكن أن يجده فى تلك الخزانة . ولما فتح باب الغرفة بمفتاحه المصطنع صار ينظر

فى اعجاب الى تلك التماثيل الجميلة . وكان أمامه مباشرة صورة حية للمستر روس ولم يكن ذلك تمثالا للمستر روس . بل كان قناعاً صلباً من الشمع معلقا على مشجب . والى جوار روس سيزار نفسه . نعم سيزار بذاته بذلك الأنف الجميل والشفاه الممتلئة والذقن المستوية والى جانب هذه المعروضات.. وهنا احمر وجه سمث وزادت حرارته . . كان قناع يمثل وجه سمث نفسه . فتناوله ثم وضعه بجانب وجهه ثم نظر فى مرآة صغيرة مستديرة معلقة على أحد جدران الغرفة وكان الوجهان متشابهان تمام الشبه حتى لايمكن أن يميز الانسان بين الوجه الصحيح والوجه المزيف . .

لم يستطع أن يلبس ذلك القناع لأنه كان مصنوعا لوجه أصغر من وجهه . كان مصنوعا لوجه الآنسة ستيفاني ويلاند

فرر أصابعه داخل ذلك القناع فى شغف واحساس بالحب ثم وضع القناع على المنضدة . ثم جلس يفكر فى هذا الموقف

لقد كانت ستيفاني اذن هى التى تمثل المستر روس فى الفندق . ستيفاني هى التى دخلت غرفته لتفتشها وهى تزعم انه غائب . واستيفاني هى التى هربت من باب الخدم بذلك الفندق

لقد زعم كل ذلك من قبل ولكنه لم يكن يعتقد أن يكون تقليدها له بهذا الاتقان

إذ كان المستر روس يعلم أنها حفيدته . ثم انه ذهب ولكن الى أين . لقد غاب يومين بينما كانت ستيفاني عنله فى غرفته فى الفندق (تذكر سمث ان سيزار أخبره أنها ذهبت الى سكوتلنده) لم يكن فى الأمر صعوبة كبيرة لخداع خدم الفندق . فان المستر روس كان ميالا للعزلة ولم يكن الخدم يجرؤن على الاقتراب من غرفته إلا بناء على طلبه . على كل حال . كان هذا جزءاً من السر قد كشف أمره وظهر خفيه .

لابد أن الصندوق الذى وصل الى ستيفاني من المحامى كان يحتوى على تفصيلات خاصه بمولدها

لقد كذب سيزار حين قال ان ابنة ويلاند ماتت كما كذب حين ادعى ان زوجة ويلاند التعسة قد ماتت . لأن سمث كان واثقا أنها تلك المرأة التى تقطع ذلك المرج بعد نصف الليل وهى مكبلة بالأغلال فى منزل لاقابيت

جلس سمث نحو ساعة يفكر فى هذه النماذج التى تدل على ماتدربت عليه ستيفاني ويلاند من الفنون . ثم جمع

جميع الاقنعة معاً ولفها فى قطعة من الورق وحملها الى غرفته لقد أحس بغريزته بشكل ما ان أيام مبزار أصبحت معدودة وبالتالى أيام تربه بون سمث . غير انه هز أكتافه حين طرأ ذلك بذهنه كأنه لا يؤبه له .

الفصل الرابع عشر

الضربة الأخيرة

كان فندق صغير يطل على خليج بابا كوم الجيل في ديفونشير وكانت مروج ذلك الفندق ممتدة الى حافة الهضبة المطلة على البحر . أما الحدائق فكان يحجبها عن النظر سياج عال نمت عليه الأزهار والرياحين . وفي احدى الحدائق جلس شيخ مسن وفتاة في ظل مظلة كبيرة . وكانت مائدة الأفطار ممتدة بينهما. وكان المستر روس يقرأ صحف الصباح بينما كانت ستيفاني تحدق النظر في البحر ترقب الامواج المصطخبة وهي تتكسر على الشاطيء

قال وهو يضع الصحيفة من يده وقد علت وجهه عبوسة:

- هذا هو اليوم الثالث ولم نسمع خبرا من المسيو ليكونت

قربت الفتاة يده وقالت :

- لا أظن أنه سيصل الينا أية أخبار ردحا من الزمن .

وأنا متيقنة أن المسيو ليكونت يبذل قصارى جهده . لقد فتش قصر سيزار تفتيشا دقيقا وهو يثق تمام الثقة أن أمى على قيد الحياة

فقال الرجل - ولكنها لم تكن هناك . وهذا أمر ردىء . ان هذا الرجل سيزار شيطان مريد . وأخبرك . .

فقالت الفتاة : ولكنها كانت هناك منذ بضعة أيام . لقد اعترفت المرأة وأظن أن اسمها المادزنا بيانوبس عندما قبض عليها ، بأنها على قيد الحياة

فسأل الرجل - هل علم سيزار بالقبض عليها

فتألمت الفتاة وقالت - لا يجوز أن يزعجنا ان كان سيزار قد سمع أو لم يسمع . أنا واثقة أنه قد أتى بأمى الى انجلترا فقال الرجل شيئا لا يدل على رضاه عن البوليس الفرنسى ثم قال .

- لو أنهم فتشوا القصر وأنا فى باريس . ولكن كان يحول بينهم وبين ذلك كثير من الرسميات . إذ يظهر أن سيزار يعتبر من رعايا أمريكا ولا بد لهم من استشارة قنصل أمريكا وكان رجال القنصلية يستشيرون آخرين لمعرفة ان كان أمريكيا أو انجليزيا . من كانت هذه المادونا

فقالت الفتاة - إحدى خدم آل فالنتين القدماء على ما أظن فتناول الرجل صحيفته مرة أخرى وهو يقول

- لابد له من الوقوع فى أيدينا على كل حال

وفى هذه اللحظة رؤى تربه جون سمث وهو يرتدى ثيابا نظيفة من الفانلة الرمادية يقطع المرج سائراً نحو هذه الجماعة

ولما رأته الفتاة انتصبت واقفة ثم قالت متلعثمة

- لماذا ... لماذا ...

فسأل المستر روس فى حدة - من هذا ؟ أهو المستر سمث ؟

فقال سمث - انى جد آسف . لم يكن عندى أية نية للانضمام الى جماعتكم ولكن لدى تعليمات مشددة من صديق المحترم المستر فالنتين لأقدم نفسى هنا الساعة التاسعة وها أنا ذا

فامتعض المستر روس وقال فى خشونة

وعليك أن تذهب بالسرعة التى جئت بها فنحن لا نريد أن نرى بيننا رجالا من طرازك

وقفت سيارة حينذاك على الطريق العام الذى أمام باب

حديقة الفندق . سمعتها الفتاة وسمعها سمث أيضاً ولكن أحداً منهما لم يعر هذا الحادث العادي أي التفات ولكنهما لو رأيا الرجل والمرأة اللذين نزلا من السيارة ثم شاهدا اشارة الرجل القاسية وخضوع المرأة في مذلة لما كان لمرارة كلام المستر روس من أثر

ثم استمر المستر روس يقول :

اذهب الى سيدك وخبره انني لا أخشاه ، لا أخشى مأجوريه من سفاكي الدماء . ان مثلك ممن لهم ميزة الثقافة والذين جاءوا من أصل رفيع ثم انحطت نفوسهم الى الدرك الذي وصلت اليه لأشد احتقارا وأكثر مقتا في نظر من كان من ذوي الاحساس الرقيق من أولئك التعساء الذين يملأون غرف سجوننا

فابتسم سمث ابتساما غريبا ثم قال :

- ان رأيك فيما يختص بأخلاقي لجدير بالاهتمام ولكن حفيدتك تستطيع أن تخبرك .

ثم حدث ماقطع عليه الحديث بشكل غريب . كان أول من تنبه هو سمث وحده فتنبه بصوت مسموع لأنه رأى امرأة منهوكة تسير متعثرة نحوهم .

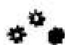
ثم همس قائلا : يا الهى

كانت الفتاة ترقب القادمة فى دهشة وبقى الشيخ غاضبا وكانت القادمة امرأة نحيلة لها وجه لالون له وكانت تسير ويداها ممتدتان أمامها كأنها عمياء تتحسس طريقها وكانت عروق يديها قد ظهرت زرقاء تحت جلدها الذى يكاد يكون شفافا .

ثم صرخت الفتاة وطارت اليها وعندما وصلت اليها وقفت المرأة وتقهقرت الى الخلف . فقالت الفتاة :

ـ أماه . اماه . ألا تعرفيننى .

ثم شرعت الفتاة تنتحب وهى تضم ذلك الجسم الهزيل الى صدرها .



كان أحد خدم الفندق يسير حاملا صينية ثقيلة وهو يخترق طريقا ضيقا يؤدى من مطبخ الفندق إلى المرج واذا برجل طويل القامة كان جالسا على أحد المقاعد المنتشرة فى ممرات الحديقة يناديه

فدهش الخادم واتجه نحوه فقال :

ـ أتستطيع أن تأتينى بكوب من الماء

فقال الخادم : بغير شك ياسيدى . بعد أن أذهب بهذه القهوة إلى سبد وعائلته فى ذلك المرج

فقال الرجل وهو يكاد يغمى عليه . ثم أخرج قبضة من النقود الفضية وأظهرها فى يده :

ـ ان هذا لا يستغرق منك دقيقة . وعندى مرض بالقلب وقد تتوقف حياتي على هذا الكوب من الماء

فوضع الرجل الصينية بجواره وأسرع الى المطبخ ثم عاد فى أقل من دقيقة . فأخذ الغريب الكوب بيد مرتجفة ثم قال :

ـ شكرا لك . انني أحسن حالا الآن .

حمل الخادم الصينية ووضع الهبة الكبيرة التى نفحه اياها فى جيبه واتجه نحو تلك الجماعة المختلطة التى كانت فى المرج . ولما عاد كان ذلك الغريب قد ذهب

كان العضو الرابع من هذه الجماعة . وهو سمث يحس بمركزه الحرج وانه غريب منهم . ولكن لا بد له من البقاء لأن سبزار لم يرسل اليه تلك البرقية ويلح عليه بالذهاب إلى هذا الموعد الا اذا كان هناك أمر هام . على انه ابتعد قليلا عنهم ولم يسمع الا قليلا مما يقولون . وقد عرف فى

المرأة فى الحال ذلك الشبح الذى رآه فى منزل لافاييت وهو مكبل بالأغلال

كان روس هو الذى دعاه للاقتراب . ومع أن لهجته لم تكن لهجة الصداقة الا أنها كانت خالية من العداوة قال :

- أ كنت تعلم بهذا يامستر سمث

فهز سمث رأسه قائلا :

- لم أكن أعلم شيئا سوى أن هذه السيدة كانت سجينة فى قصر لافاييت فى باريس

- أتعلم لماذا أطلق سراحها ولماذا جاء بها الى هنا هذا الصباح

فهز سمث رأسه مرة أخرى وقال :

- لا اعلم شيئا سوى أنه ألقى تعليماته بأن أكون هنا فى ساعة محدودة

كان المركز حرجا والموقف دقيقا يحتاج الى كثير من الكياسة وحسن التناول . وبعد قليل حاول أن ينسحب غير أن المرأة أشارت اليه بالرجوع . وكانت جالسة فى ذهول تنقل نظرها من الفتاة الى الشيخ . وكأنها كانت لاتفقه مايدور حولها ولكن لما حاول سمث الانسحاب كأنها تنبهت . فقالت بصوت خافت وهى تنطق الالفاظ كلمة كلمة

- هل أنت سمث ؟ لقد أخبرني أنه يجب أن تنتظر

فقال سمث : وأين هو

فقالت وهي تشير الى الطريق التي أتت منها :

- انه هناك . في السيارة ولكني أظن انه قد ذهب لأنه لم يرغب أن يأتي ويرى أبي ولكنه قال انك هنا ويجب أن تبقى . يجب أن نفعل دائما ما تقوله سمزار

فعاد سمث الى الجماعة وقد أشار له المستر روس برأسه ليجلس فجلس . ثم قالت المرأة

- لقد وقعت على الورقة التي طلب الى التوقيع عليها أمس في السفينة التي جاءت بنا وقد وقع معي أحد بحارة السفينة

فقالت الفتاة بسرعة : ورقة ؟ أية ورقة يا أماه

فانكمشت حواجب المرأة كأنها تتذكر ثم قالت :

- ياأماه ؟ هذه كلمة غريبة . لقد كان لي ابنة صغيرة مرة ثم نظرت الى الفتاة في دهشة وامتلأت عيناها بالدموع

فجذبت ستيفاني رأس المرأة الى كتفها وأخذت ترفه عنها فقال روس في رقة

فلنسمع القصة ياعزيزتي . واني لمتأكد ان المستر سمث لايجد غضاضة في الانتظار . صبي ياعزيزتي ستيفاني

القهوة وقدمي فنجانا منها للمستر سمث

فقالت المرأة في هدوء أكثر

- لقد كان ذلك منذ أسبوع . جاء سيزار الى المنزل وأخبرني أنه سيعود بي الى انجلترا إلى أبي . ولاشك انني فرحت جدا . لقد كنت في حال سيئة في ذلك القصر . وكان كل شيء غامضا كما كان سيزار أحيانا قاسيا جداً . وكانوا يخشون أن أهرب وهذا هو السبب في أنهم لم يسمحوا لي بالخروج إلا ليلا مكبلة اليدين والرجلين حتى لا أستطيع أن أجرى . لقد حاولت الهروب مرة .

كان سمث يرقبها وهو يرشف قهوته

كانت ستيفاني قد رفعت فنجانها الى شفتيها فضرب سمث الفنجان أطاره من يدها فسالت القهوة الساخنة على ملابسها الأنيقة ووثبت واقفة في خوف واستياء

فقال سمث في برود :

- آسف لمقاطعتي للقصة والافطار ولكن لهذه القهوة طعم غريب لم يعجبني

فقال روس : ماذا تقصد بذلك

فقال سمث : أقصد أن صديقنا سيزار قد يكون قد

اعتزم على التخلص من الجميع : الظالم والمظلوم بضربة واحدة ومن جهتي أنا . أريد أن أعيش مدة أخرى

ثم شم القهوة وأشار الى الخادم ليقترب فجاء من الجانب الآخر من المرج . وقال :

ـ هل طعم القهوة غريب ياسيدى . لاأدرى لماذا

ثم شرع برفع الفنجان الى فمه فمنعه سمث وقال :

ـ لاتفعل الا اذا كنت تريد أن تموت . قل لى فقط. هل أتيت بهذه القهوة من المطبخ مباشرة

فقال الرجل مدهوشا : نعم ياسيدى

ـ هل قابلت أحداً فى طريقك

ـ كلا ياسيدى . بل قابلت . نعم قابلت سيدا كان مريضا وطلب منى كوبا من الماء

فقال سمث : فتركت الصينية بجوارة وذهبت لتأتى له بالماء . حسنا . هذا يكفى

فقال الخادم : هل آخذ القهوة

فقال سمث : كلا . بل اتركها هنا . انني أريد أن أتأكد انه سيزار فالتنين قد تعمد قتلى ولكني أريد اجراء التجربة

مع شيء غير الانسان . فانني بزجاجة أضع بها القهوة . أية زجاجة ؟ ولتكن زجاجة وسكي مثلا

فعم السكوت بعد ذهاب الخادم

- لا أظن أنك تريد أن تقول أن سبزار قد بلغ هذا الحد من الاجرام

فقال سمث : لا يمنى ماتنطوى عليه أعماله من الخلق ولا نيانه من الطهارة . ولكني أكاد أثق بأن صديقنا دبر جريمة قتل بالجملة فيزيل بضربة واحدة من هذا الوجود كل شخص يعرف شيئاً عن جرائمه وآثامه

الفصل الخامس عشر

الخاتمة

وصلت الى سيزار فالنتين الرسالة المرسلة له من فندق بلمون . وكم كان غيظه وحنقه شديداً لما وجد أن الامضاء هى ت . ب . سمث . كانت الرسالة مطمئنة وان كانت جافة شديدة اللهجة لأن سمث لم يشر فيها إلى ماحدث فى اليوم السابق فى بابا كوم .

جاء سيزار إلى فندق بلمون واتجه تواً الى غرفة سمث ومن الغريب أنها كانت غرفة روس ولكن سيزار لم يظهر أنه قد لاحظ هذا الأمر وكان سمث مضطجعاً فى أحد الكراسى ذى المساند (الهوتيل) يدخن قصبته . فقال سيزار يحييه

- هالو . هل عدت . لقد كنت أنتظرك فى ميدان بورتلند

فقال سمث : أغلق الباب واجلس . لست بذاهب إلى ميدان بورتلند وأظن أن هذا الفندق أكثر سلامة وأمنا

فقال سيزار مبتسماً : ماذا تقصد بذلك

- أقصد يافالنتين أنك حاولت الاعتداء علي وهي آخر مرة تفعل ذلك . وهاأنا أحدثك حديث الرجل للرجل فاسمع ماأقول وضعه نصب عينيك . لقد انضممت اليك على أن يكون الاخلاص رائداً لنا وعلى أن لايخفى أحدنا على الآخر سراً . والآن . أنت تعرف تاريخ حياتي تفصيلا كما أعرف طرفاً من تاريخك فأريد أن تطلعني قبل كل شيء على الحقيقة كاملة فيما يختص ببعض الحوادث التي حدثت في ماضيك وكذلك بعض العلاقات التي بينك وبين آخرين .

- واذا فرضنا انني رفضت الاباحة لك بأسراري فهل تذهب الى البوليس

- لست بذاهب الى البوليس ولكنى لا أخشى مجيء البوليس الى فانك لا تستطيع أن تتهمني بشيء

فقال سيزار - اللهم الا حادث قتل في باريس

فقال سمث وهو يهز أكتافه : أوه - ذلك الحادث . ان باريس هي باريس . ولندن هي لندن . لقد حاولت ياسيزار صباح الأمس أن تقضي علي . لاتكذب في هذا الموضوع لانني واثق من صحته . فقد حللت القهوة

فقال سيزار وهو يتظاهر بالحيرة والدهشة : حللت القهوة ؟

فقال سمث فى خشونة : دعنا من التظاهر . ولنتكلم فى الحقائق . فهناك جماعة يسعون ضدك وربما كان سعيهم ضدى أيضا . ولكنى أظن أن الادلة ضدك أكثر منها ضدى . وأظن أنك تعرف بالضبط إلى أى حد يجب أن نخاف وأنك اذا فكرت فى الموضوع فقد تصل إلى معرفة عدوك المدود

فقال سيزار : أتقصد رقم ٦ . لا بد أن يكون ويلاند أو

قال سمث : أو ؟

فقال سيزار : أو الشاب جيل

فقال سمث : أخبرني عن الشاب جيل فاني لم أسمع عنه شيئا منك

ففكر سيزار قليلا ثم قال :

- حسنا . أظن أنه لا بأس من اطلاعك على أمره . كان لجيل مدير المصرف ابن عم واعتقد أنه ذهب إلى الارجنتين بعد الفاجعة وأظن أنه لا يزال هناك . وأذكر أنك أنت أخبرتني بذلك .

فأحنى سمث رأسه وقال :

- ولماذا تخشى ابن جيل ؟ (ولكن سيزار لم يجب)

- ماهى حقيقة مسألة جيل . انني لا أستطيع السير فى طريق ان لم أتبين الصعوبات التى تعترضنى

قال سيزار : لقد مات جيل

فقال سمث : كان موته فى الوقت المناسب على ما أظن

- نعم . الى حد ما . لقد كنت مدينا له بمبلغ كبير من المال . وفى الواقع زورت فى دفاتره . فلو بقى حياً وتحكم لقبض على بتهمة التزوير . وكان قد اعتزم ابلاغ الامر للبوليس فى اليوم الذى مات فيه . وكنت أعلم أنه تعود تعاطى دواء يقوى الاعصاب ظهر كل يوم فحصلت على احدى الزجاجات الفارغة من هذا الدواء وأبدلتها بالتى كانت فى مكتبه .

قال سمث : وكانت هذه الزجاجة الفارغة قد ملئت بحمض من الاحماض السامة على ما أظن

قال سيزار : نعم حمض الهيدروسيانات . والآن ها أنت ذا تطلع على حقيقة الامر . أما فيما يختص بالتزوير فلست أنوى ايضاح ذلك لك ولكني أستطيع أن أقول أن جيل لم يكن مشتركا فيه

لم يجب سمث بشيء بل بقى جالساً ينظر فى سكون الى بساط الغرفة .

ثم قال : هذا واضح لقد كنت أعتقد أن الوقت سيأتي فنتكلم عن أسرارك معى . انك ياسميزار فى ورطة فاتركني ودعنى أفكر فى الامر مليا .

عاد سميزار الى ميدان نورتلند وهو حانق على نفسه لانه باح بكل ذلك . أما سمث فكان يحادث الشرطى السرى ستيل الذى كان مختبئا بالغرفة الثانية أثناء حديثهما وقد سجل هذا الحديث بالخط المختزل (شورت هاند)

ذهب سميزار الى فندق بلنون وهو يتوقع من زميله ماهو أكثر من اللوم والتوبيخ وكان من اللازم عليه أن يرضيه ويصلح ما أفسد ولو كان هذا الصلح يستلزم أن يبوح ببعض أسرار الماضى



بينما كان سميزار فالنتين يدخل منزله قبض البوليس عليه وقاده الى مركز بوليس ماريلبورن ووجهت اليه تهمة القتل والشروع فى القتل وقد اطمأن وهدأ باله حين رأى سمث مغلول الايدى ومسوقا الى السجن معه

جىء بهما أمام قاضى التحقيق وبعد توجيه التهمة اليهما أعيدا إلى السجن وبقيا سبعة أيام فى سجن بركستون يشغلان

غرفتين متجاورتين وكانا يتقابلان فى ردهة السجن وقت النزهة . ثم فى صباح أحد الايام اختفى سمث على نظر سبزار فلم يره بعد ذلك إلا فى محكمة اولد بيلى ونودى عليه كشاهد . صعد سمث الى موقف الشهود وقال :

ـ اسمى جون جيل وصناعتى ضابط بقسم المباحث الجنائية وأنا معروف فى السجلات الرسمية برقم ٦

* * *

وبعد أسبوع من المحاكمة وماترتب عليها من النتائج كنت ترى جون جيل أو سمث أو رقم ٦ يجالس فتاة حسناء فى غرفة الشاى بفندق بيكاديللى

قالت الفتاة : لاشك أنك جد مسرور بانتهاء هذه القضية

فأحنى رأسه موافقة ثم قال :

هناك شيء واحد أحب أن أعرفه منك فانى لم أستطع قط أن أتبين موقفك إزائى

فقالت الفتاة فى دلال : ألم تتبينه ؟ ظننت انى كنت لطيفة معك .

فقال : لست أقصد هذه الناحية . حين كنت تراقبين سبزار فى باريس رأيت على رصيف دى فلور مايدل على وقوع

جناية فظيعة ومع ذلك لم تظهري علامات الرعب أو الاشمئزاز المنتظرين من فتاة مهذبة مثلك عند مقابلتها للرجل الذي ارتكب هذه الجريمة .

فضحكت الفتاة وقالت :

- لما أطللت من فوق سور الرصيف ظننت حقيقة ان جناية فظيعة قد ارتكبت . ولكن لما رأيت زورقين مملوئين برجال البوليس الفرنسي ينتشلون القتيل . وسمعته يصف ما ألم به من الانزعاج لاضطراره أن يثب في نهر السين في منتصف الليل علمت أن هذا المنظر لم يكن إلا رواية مثلت لتجملك تتصل اتصالا وثيقا بسيزار فالنتين . ولو كان قد بقي عندي شيء من الشك فانه قد زال لما أطلقت سراحي من الغرفة التي حبستني بها ورأيتك تكتب له تلك الرسالة التي علقتها على جدران الغرفة .

نعم . هذه كانت الوسيلة الوحيدة التي تصلني بسيزار صلة متينة . فلما رأيت أنه قد بدأ يهتم بأمري (وكنت واثقا انه سيهتم بي) بفضل ما أذعته من الروايات الدالة على اجرامي . أعددت الزورقين وذلك (القتيل) ينتظر كل ليلة على رصيف دي فلور الى أن حانت الفرصة فانتهزتها . أنت

تعلمين انني من رجال البوليس الهواة . ولكن لي تدابير مدهشة .

فابتسمت وقالت : انني معجبة أشد الاعجاب بشيء واحد وهو تواضعك . ثم قالت في رزانة : هل وجدت أبي

فقال : نعم . لقد وجدته منذ بضعة أسابيع

فقالت . ولكن ألا ترى أنك عديد القسوة للتفريق بينه وبيننا . أنا وأمي . لاشك أنه لايوجد من الاسباب ما يمنع مقابلتنا له الآن

فقال في هدوء .. بل هناك سبب قوي جداً وثقي أنني سأجمع بينكما وبين أبيك بعد ثلاثة أسابيع . وأبوك يجهل أنك أنت زوجه في قيد الحياة

- لكن لماذا يكون ذلك بعد ثلاثة أسابيع وليس الآن .

- هذا سري وسره .

فانقطعت الفتاة عن الحديث

***

كان مقدوراً على ستراز فالنتين أن يرى عدوه أولا . فحدث ذات صباح أنهم أيقظوه من نوم عميق فوجد أن ملابس السجن التي كان يرتديها منذ صدر عليه الحكم قد

اختنقت وأنهم قد جاءوه بملابسه التي كان يرتديها أثناء المحاكمة

فقام ولبس ملابسه ورفض ما قدمه الكاهن له من الخدمات وتناول فطوره بشهية . ثم جاءت الساعة الثامنة الا ربعا الا ويدخل مدير السجن ومن ورائه جون جيل

فحياه سيزار قائلا - هالو ياجيل . هذه هي نهاية الطريق . وأني لانصح لك بأن تهوى هوايتي فهي تنفعك يوما من الأيام حتى لو كانت صناعة الأزرار .

ثم أشار مدير السجن الى رجل كان في الخارج فدخل وفي يده الاشرطة الدالة على وظيفته

قال سيزار - أرجو أن تسمحوا لي .

ثم ركع على ركبتيه وأخفى وجهه بين يديه كأنه يصلي فبهت الجميع . ثم قام فوجد نفسه مع ويلاند وجها لوجه . فصاح :

- يا الهي . هل . أنت . ال .... الجلاد

فقال ويلاند - نعم لقد بقيت طويلا انتظر هذا اليوم

ثم شد وثاق يدي سيزار خلفه

فقال سيزار بصوت مرتفع - لقد انتظرت عبثا . أنظر ياصديقي الماهر . كم زرارا في سترتي .

فنظر ويلاند فرأى خيطا يدل على أن أحد الأزرار قد انتزع

ان سيانيد البوتاسيوم وقليلا من الصمغ يصلح لعمل زرار بديع .

ولما قال هذا وقع بين يدى سجانيه

وضعوه على الفراش ولكن لما فحصوه وجدوه قد مات

(تمت)